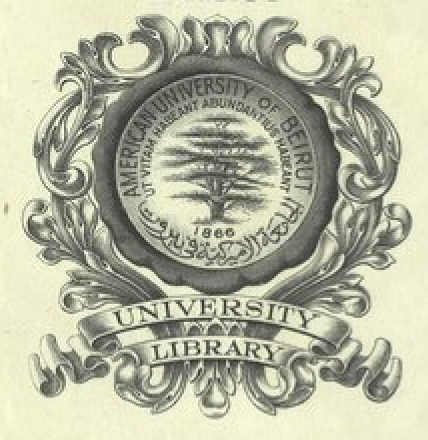
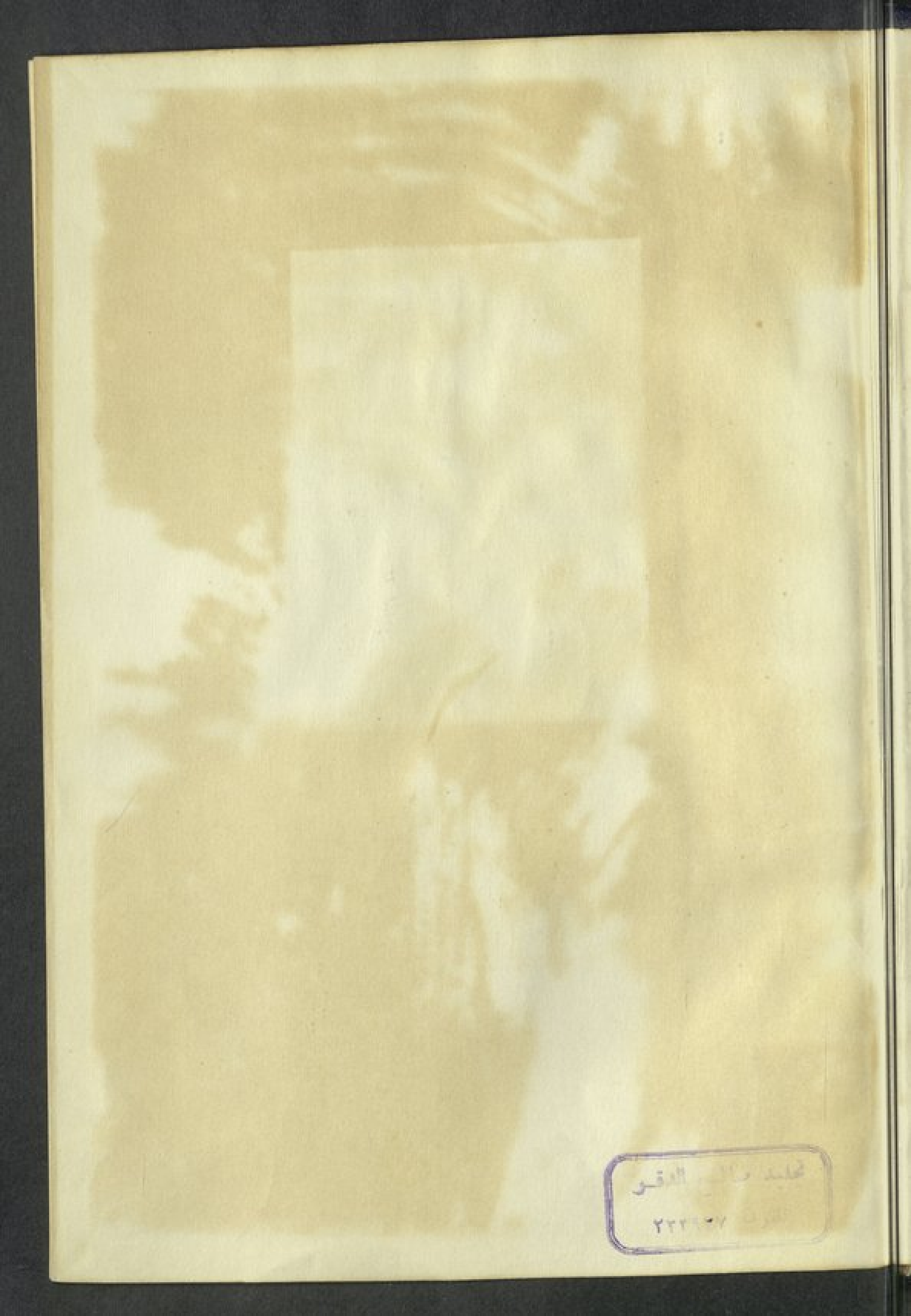
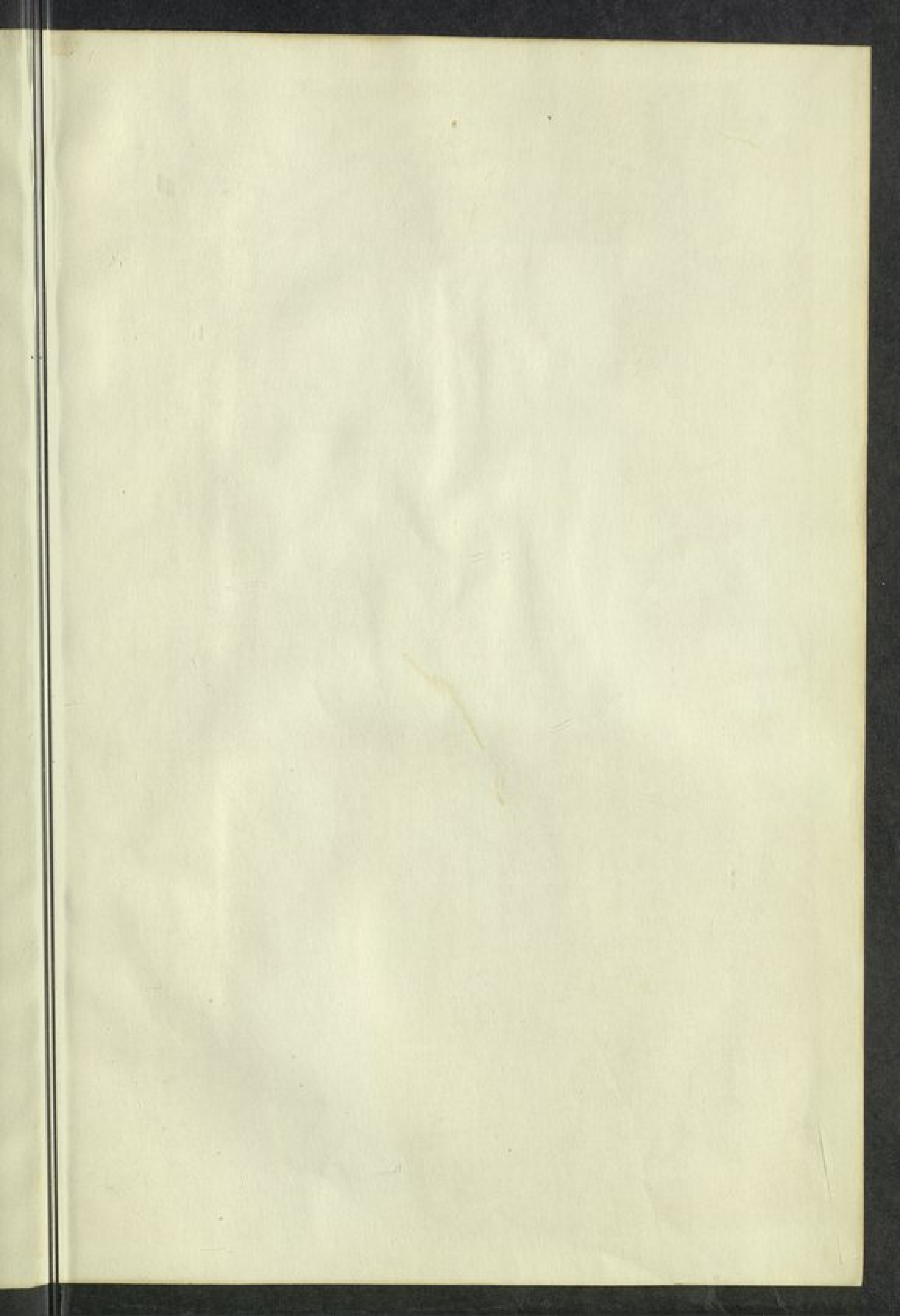
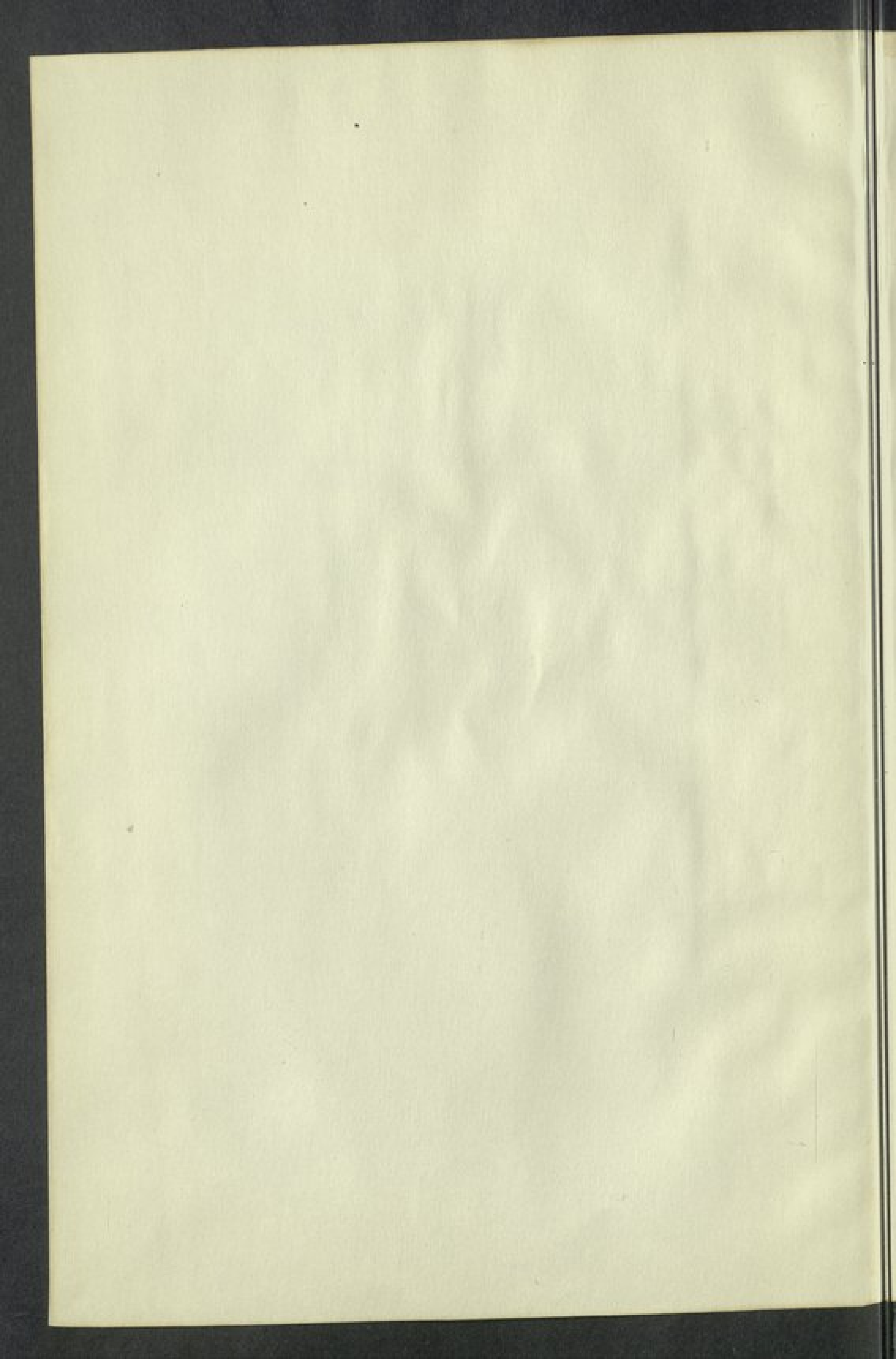

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY







ذكرى حافظ

شرح القصيدة العمرية

لواضعه
مصطفى الدمياطى بك

الطبعة الأولى

(يباع بمكتبة الخانجى)
بشارع عبد العزيز بمصر صندوق البريد ١٩٢٥

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد : فقد دفعتنى الصداقة التى كانت بينى وبين حافظ رحمه الله الى تعليق هذا الشرح على قصيدته العمرية فإنها جديرة بالتعليق عليها لما تضمنته من مناقب عمر بن الخطاب الإمام العادل ومن حوادث أيامه الرائعة التى نظمها حافظ فى لغة صحيحة ، ودقة معنى ، وصوغ مطبوع ، وقصص حسن مما جعلها فى المنزلة الأولى من الشعر الخالد

ليس كثيرا على حافظ أن تملأ نفسه عاطفة الدين فتندفع الى نظم مائة وسبعة وثمانين بيتا من الشعر الجيد الرصين فى مدحة لعمر رضى الله عنه فإن حافظا بما كان عليه من إيمان صحيح كان فخورا بالإسلام ، فخورا برجاله العظام ، أولئك الذين شادوا مجده ، ونهضوا بدولته . هذا وإن التنويه بمناقب عمر تستحق عليه المثوبة ، فهو فى ذاته عمل جليل يعتبر بما فيه من العبر والحوادث ، ويقتدى بما تضمنه من الأفعال الكريمة التى يبقى ذكرها ما بقى التاريخ

وإنى لفى غنى عن بسط الكلام فى التعريف بعمر ، فمن ذا الذى لا يعرف عمر خليفة أبى بكر وأمير المؤمنين ذاك الذى ضرب به المثل فى العدل ، وعرفه أهل الغرب كما عرفه أهل الشرق فإذا ذكروه قالوا عمر فحسب . ومع هذا

فسيرى القارئ طائفة من أخباره وآرائه وأقواله وأفعاله وما تحلى به من الأخلاق الفاضلة والصفات العالية، يراها منثورة فى أثناء الشرح فيعرف منها عمر وكيف مرت حوادث الإسلام الأولى ويعرف ما كان عليه السلف الأول من عدل واعتزاز بالحق، سيعرف القارئ عمر ذاك الذى كان فى صغره يرعى غنم أبيه فإذا مافرغ من رعيه احتطب كما روى ذلك عن نفسه فقد ذكر ابن عساكر عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه أن عمر قال له حين مرا بمكان يسمى ضجنان (جبل بقرب مكة) كنت أرعى للخطاب بهذا المكان فكان فظا غليظا فكنت أرعى أحيانا وأحتطب أحيانا فأصبحت أضرب الناس ليس فوق أحد إلا رب العالمين ثم قال :

لاشىء مما ترى تبقى بشاشته   يبقى الإله ويودى المال والولد

فلما جاء الإسلام وتشرف عمر باعتناقه وكانت له صحبة للنبى صلى الله عليه وسلم جعل الإسلام منه رجلا آخر بز الأمراء والخلفاء فى حسن السياسة . وشدة الشكيمة فى عدل، وتمسك بدين، وزهد فى دنيا، وحسن قيام على الرعية، فجزاه الله خير ما جزى به راعياً أحسن الى رعيته وقام بتربيتها وتعليمها

وسيعرف القارئ كذلك أن حافظا رحمه الله عمد إلى طائفة من مناقب عمر فنظم منها عقداً فريداً لم تكب شاعريته فى بيت من أبياته ولم تقصر عبقريته عن بلوغ المدى الذى أراده من تصوير الحوادث فى أحسن صورة وإبرازها فى أجمل أسلوب

بعد أن احتفل بإنشاد العمرية فى أوائل سنة ١٩١٨ فى حفلة جامعة وبعد أن نشرتها الجرائد نقدها بعض الكتاب فخطأ حافظا فى تصديره مناقب عمر رضى الله عنه بحادثة مقتله وسنأتى كلمة على ذلك بعد أربعة أبيات من شرح القصيدة.

وخطأه آخرون فى بعض كلمات من دون أن تكون لهم أناة على النظر فى أبيات القصيدة واستخراج المعانى منها ولو بالمصير إلى المجاز فى استعمال بعض الكلمات فكانت تخطئتهم غير صائبة فبقيت العمرية تاجا فوق هامة القصائد ودرة بين درر الشعر الخالد

فإلى روحك أيها الصديق الحميم أهدى هذا الأثر الذى احتذيت فيه مثالك ونهجت به نهجك وجعلته وفاء لك لما على من بعض الدين بصداقتك، ولتعلم من وراء هذه الحياة أننى شاركتك فيه ببسط ما أجملت، ونقلت من موثقات الكتب وأمهات التواريخ ما يفصل ذلك المجمل، طامعا فى المثوبة من الله، فليتقبل الله اخلاصى فى نيتى، وحسن قصدى فى عملى، كما تقبل الله منك فان عملك كان دليلا على صحة عقيدتك، وحبك لدينك وأمتك، وليجعل الله هذا الشرح نافعا للشباب مقبولا لديه إنه مجيب الدعاء قريب

٦ رمضان سنة ١٣٥١ — ٣ يناير سنة ١٩٣٣ مصطفى الدمياطى



القصيدة العمرية

٨ حَسْبُ القَوَافِي وَحَسْبِي حِينَ أُلْقِيهَا أَنِّي إِلَى سَاحَةِ الْفَارُوقِ أُهْدِيهَا
لاهُمَّ هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ نَامَ قَاضِيهَا
قَدْ نَازَعَتْنِي نَفْسِي أَنْ أُوَفِّيَهَا وَلَيْسَ فِي طَوْقِ مِثْلِي أَنْ يُوَفِّيَهَا
فَمُرْ سَرِيَّ الْمَعَانِي أَنْ يُوَاتِيَنِي فِيهَا فَإِنِّي ضَعِيفُ الْحَالِ وَاهِيهَا

مقتل عمر

٨ مَوْلَى الْمُغِيرَةِ لَا جَادَتْكَ غَادِيَةٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا
مَزَّقْتَ مِنْهُ أَدِيمًا حَشْوُهُ هِمَمٌ فِي ذِمَّةِ اللهِ عَالِيهَا وَمَاضِيهَا
٨ طَعَنْتَ خَاصِرَةَ الْفَارُوقِ مُنْتَقِمًا مِنَ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا
٨ فَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الإِسْلَامِ حَائِرَةً تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لَمَّا مَاتَ آسِيهَا
مَضَى وَخَلَّفَهَا كَالطَّوْدِ رَاسِخَةً وَزَانَ بِالْعَدْلِ وَالتَّقْوَى مَغَانِيهَا
تَنْبُو الْمَعَاوِلُ عَنْهَا وَهْيَ قَائِمَةٌ وَالْهَادِمُونَ كَثِيرٌ فِي نَوَاحِيهَا
حَتَّى إِذَا مَا تَوَلَّاهَا مُهَدِّمُهَا صَاحَ الزَّوَالُ بِهَا فَانْدَكَّ عَالِيهَا
وَاهًا عَلَى دَوْلَةٍ بِالأَمْسِ قَدْ مَلَأَتْ جَوَانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيَادِيهَا
كَمْ ظَلَّلَتْهَا وَحَاطَتْهَا بِأَجْنِحَةٍ عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قَدْ كَانَتْ تُوَارِيهَا
مِنَ الْعِنَايَةِ قَدْ رِيشَتْ قَوَادِمُهَا وَمِنْ صَمِيمِ التُّقَى رِيشَتْ خَوَافِيهَا
وَاللهِ مَا غَالَهَا قِدْمًا وَكَادَ لَهَا وَاجْتَثَّ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا

لو أنها فى صميم العرب قد بقيت ... لما نعاها على الأيام ناعيها

يا ليتهم سمعوا ما قاله عمر ... والروح قد بلغت منه تراقيها

لا تكثروا من مواليكم فإن لهم ... مطامعا بسمات الضعف تخفيها

اسلام عمر

رأيت في الدين آراء موفقة ... فأنزل الله قرآنا يزكيها

وكنت أول من قرت بصحبته ... عين الحنيفة واجتازت أمانيها

قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها ... بنعمة الله حصنا من أعاديها

خرجت تبغى أذاها فى محمدها ... وللحنيفة جبار يواليها

فلم تكد تسمع الآيات بالغة ... حتى انكفأت تناوي من يناويها

سمعت سورة طه من مرتلها ... فزلزلت نية قد كنت تنويها

وقلت فيها مقالا لا يطاوله ... قول المحب الذى قد بات يطريها

ويوم أسلمت عز الحق وارتفعت ... عن كاهل الدين أثقال يعانيها

وصاح فيه بلال صيحة خشعت ... لها القلوب ولبت أمر باريها

فأنت فى زمن المختار منجدها ... وأنت فى زمن الصديق منجيها

كم استراك رسول الله مغتبطا ... بحكمة لك عند الرأى يلفيها

عمر و بيعة أبى بكر

وموقف لك بعد المصطفى افترقت ... فيه الصحابة لما غاب هاديها

بَايَعْتَ فِيهِ أَبَا بَكْرٍ فَبَايَعَهُ عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

وَأُطْفِئَتْ فِتْنَةٌ لَوْلَاكَ لَاسْتَعَرَتْ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَانْسَابَتْ أَفَاعِيهَا

بَاتَ النَّبِيُّ مُسَجًّى فِي حَظِيرَتِهِ وَأَنْتَ مُسْتَعِرُ الْأَحْشَاءِ دَامِيهَا

تَهِيمُ بَيْنَ عَجِيجِ النَّاسِ فِي دَهَشٍ * مِنْ نَبْأَةٍ قَدْ سَرَى فِي الْأَرْضِ سَارِيهَا

تَصِيحُ مَنْ قَالَ نَفْسُ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ * عَلَوْتُ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أَبْرِيهَا

أَنْسَاكَ حُبُّكَ طَهَ أَنَّهُ بَشَرٌ يَجْرِي عَلَيْهِ شُئُونُ الْكَوْنِ مُجْرِيهَا

وَأَنَّهُ وَارِدٌ لَا بُدَّ مَوْرِدَهُ مِنَ الْمَنِيَّةِ لَا يُعْفِيهِ سَاقِيهَا

نَسِيتَ فِي حَقِّ طَهَ آيَةً نَزَلَتْ وَقَدْ يُذَكَّرُ بِالْآيَاتِ نَاسِيهَا

ذَهِلْتَ يَوْمًا فَكَانَتْ فِتْنَةٌ عَمَمٌ وَثَابَ رُشْدُكَ فَانْجَابَتْ دَيَاجِيهَا

فَلِلسَّقِيفَةِ يَوْمٌ أَنْتَ صَاحِبُهُ فِيهِ الْخِلَافَةُ قَدْ شِيدَتْ أَوَاسِيهَا

مَدَّتْ لَهَا الْأَوْسُ كَفًّا كَيْ تَنَاوَلَهَا فَمَدَّتْ الْخَزْرَجُ الْأَيْدِي تُبَارِيهَا

وَظَنَّ كُلُّ فَرِيقٍ أَنَّ صَاحِبَهُمْ أَوْلَى بِهَا وَأَتَى الشَّحْنَاءَ آتِيهَا

حَتَّى انْبَرَيْتَ لَهُمْ فَارْتَدَّ طَامِعُهُمْ عَنْهَا وَآخَى أَبُو بَكْرٍ أَوَاخِيهَا

عمر وعلى

وَقَوْلَةٍ لِعَلِيٍّ قَالَهَا عُمَرٌ أَكْرِمْ بِسَامِعِهَا أَعْظِمْ بِمُلْقِيهَا

حَرَّقْتُ دَارَكَ لَا أُبْقِي عَلَيْكَ بِهَا إِنْ لَمْ تُبَايِعْ وَبِنْتُ الْمُصْطَفَى فِيهَا

مَا كَانَ غَيْرُ أَبِي حَفْصٍ يَفُوهُ بِهَا أَمَامَ فَارِسِ عَدْنَانٍ وَحَامِيهَا

كِلاَهُمَا فِى سَبِيلِ الْحَقِّ عَزْمَتُهُ ... لَا تَنْثَنِي أَوْ يَكُونَ الْحَقُّ ثَانِيهَا

فَاذْكُرْهُمَا وَتَرَحَّمْ كُلَّمَا ذَكَرُوا ... أَعَاظِمًا أُلِّهُوا فِى الْكَوْنِ تَأْلِيهَا

عمر وجبلة بن الايهم

كَمْ خِفْتَ فِى اللهِ مَضْعُوفًا دَعَاكَ بِهِ ... وَكَمْ أَخَفْتَ قَوِيًّا يَنْثَنِي تِيهَا

وَفِي حَدِيثِ فَتَى غَسَّانَ مَوْعِظَةٌ ... لِكُلِّ ذِى نَعْرَةٍ يَأْبَى تَنَاسِيهَا

فَمَا الْقَوِىُّ قَوِيًّا رَغْمَ عِزَّتِهِ ... عِنْدَ الْخُصُومَةِ وَالْفَارُوقُ قَاضِيهَا

وَمَا الضَّعِيفُ ضَعِيفًا بَعْدَ حُجَّتِهِ ... وَإِنْ تَخَاصَمَ وَالِيهَا وَرَاعِيهَا

عمر وأبو سفيان

وَمَا أَقَلْتَ أَبَا سُفْيَانَ حِينَ طَوَى ... عَنْكَ الْهَدِيَّةَ مُعْتَزًّا بِمُهْدِيهَا

لَمْ يُغْنِ عَنْهُ وَقَدْ حَاسَبْتَهُ حَسَبٌ ... وَلَا مُعَاوِيَةٌ بِالشَّامِ يَجْبِيهَا

قَيَّدْتَ مِنْهُ جَلِيلًا شَابَ مَفْرِقُهُ ... فِي عِزَّةٍ لَيْسَ مِنْ عِزٍّ يُدَانِيهَا

قَدْ نَوَّهُوا بِاسْمِهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ ... وَزَادَهُ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ تَنْوِيهَا

فِى فَتْحِ مَكَّةَ كَانَتْ دَارُهُ حَرَمًا ... قَدْ أَمَّنَ اللهُ بَعْدَ الْبَيْتِ غَاشِيهَا

وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَشْفَعْ لَدَى عُمَرٍ ... فِى هَفْوَةٍ لِأَبِى سُفْيَانَ يَأْتِيهَا

تَاللهِ لَوْ فَعَلَ الْخَطَّابُ فَعْلَتَهُ ... لَمَا تَرَخَّصَ فِيهَا أَوْ يُجَازِيهَا

فَلَا الْحَسَابَةُ فِى حَقٍّ يُجَامِلُهَا ... وَلَا الْقَرَابَةُ فِى بُطْلٍ يُحَابِيهَا

وَتِلكَ قُوَّةُ نَفسٍ لَوْ أَرادَ بِهَا ... شُمَّ الجِبالِ لَمَا قَرَّتْ رَواسِيها

عمر وخالد بن الوليد

سَلْ قاهِرَ الفُرْسِ وَالرُّومانِ هَلْ شَفَعَتْ ... لَهُ الفُتُوحُ وَهَلْ أَغنى تَوالِيهَا

غَزا فأَبْلَى وَخَيْلُ اللهِ قَدْ عُقِدَتْ ... بِاليُمْنِ وَالنَّصرِ وَالبُشْرَى نَواصِيها

يَرْمِي الأَعادِي بِآراءٍ مُسَدَّدَةٍ ... وَبِالفَوارِسِ قَدْ سالَتْ مَذاكِيها

مَا واقَعَ الرُّومَ إِلَّا فَرَّ قارِحُها ... وَلا رَمَى الفُرْسَ إِلَّا طاشَ رامِيها

وَلَمْ يَجُزْ بَلْدَةً إِلَّا سَمِعْتَ بِهَا ... اللهُ أَكبَرُ تَدْوِي فِي نَواحِيهَا

عِشرُونَ مَوْقِعَةً مَرَّتْ مُحَجَّلَةً ... مِنْ بَعْدِ عَشرٍ بَنانُ الفَتْحِ تُحْصِيها

وَخالِدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ مُوقِدُهَا ... وَخالِدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ صالِيها

أَتاهُ أَمْرُ أَبِي حَفْصٍ فَقَبَّلَهُ ... كَمَا يُقَبِّلُ آيَ اللهِ تالِيهَا

وَاستَقبَلَ العَزْلَ فِي إِبَّانِ سَطْوَتِهِ ... وَمَجْدِهِ مُسْتَرِيحَ النَّفْسِ هادِيهَا

فَاعْجَبْ لِسَيِّدِ مَخْزومٍ وَفارِسِهَا ... يَوْمَ النِّزالِ إِذَا نادَى مُنادِيها

يَقُودُهُ حَبَشِيٌّ فِي عِمامَتِهِ ... وَلا تُحَرِّكُ مَخْزومٌ عَوالِيها

أَلْقَى القِيادَ إِلَى الجَرَّاحِ مُمْتَثِلاً ... وَعِزَّةُ النَّفْسِ لَمْ تُجْرَحْ حَواشِيهَا

وَانْضَمَّ لِلْجُنْدِ يَمْشِي تَحْتَ رايَتِهِ ... وَبِالحَياةِ إِذَا مالَتْ يُفَدِّيهَا

وَما عَرَتْهُ شُكُوكٌ فِي خَلِيفَتِهِ ... وَلا ارْتَضَى إِمْرَةَ الجَرَّاحِ تَمْوِيهَا

فَخَالِدٌ كانَ يَدْرِى أنَّ صَاحِبَهُ ... قَدْ وَجَّهَ النَّفسَ نَحْوَ اللهِ تَوْجِيهَا

فَمَا يُعَالِجُ مِنْ قَوْلٍ وَلاَ عَمَلٍ ... إلاّ أرادَ بِهِ لِلنّاسِ تَرْفِيهَا

لِذَاكَ أوْصَى بِأَوْلاَدٍ لَهُ عُمَرا ... لمَّا دَعاهُ إلَى الفِرْدَوْسِ دَاعِيها

وَمَا نَهَى عُمَرٌ فِى يَوْمِ مَصْرَعِهِ ... نِسَاءَ مَخْزُومَ أنْ تَبْكِي بَوَاكِيها

وَقِيلَ خَالَفْتَ يَا فَارُوقُ صَاحِبَنَا ... فِيهِ وَقَدْ كانَ أعْطَى القَوْسَ بَارِيها

فَقَالَ خِفْتُ افْتِتَانَ المُسْلِمِينَ بِهِ ... وَفِتْنَةُ النَّفْسِ أعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيها

هَبُوهُ أخْطأَ فِى تأوِيلِ مَقْصِدِهِ ... وَأنَّها سَقْطَةٌ فِى عَيْنِ نَاعِيها

فَلَنْ تَعِيبَ حَصِيفَ الرَّأْىِ زَلَّتُهُ ... حَتَّى يَعِيبَ سُيُوفَ الهِنْدِ نَابِيها

تَاللهِ لَمْ يَتَّبِعْ فِي ابْنِ الوَلِيدِ هَوًى ... وَلا شَفَى غُلَّةً فِى الصَّدْرِ يَطْوِيها

لَكِنَّهُ قَدْ رَأَى رَأْياً فَأَتْبَعَهُ ... عَزِيمَةً مِنْهُ لَمْ تُثْلَمْ مَوَاضِيها

لَمْ يَرْعَ فِى طَاعَةِ المَوْلَى خُؤولَتَهُ ... وَلا رَعَى غَيْرَهَا فِيما يُنَافِيها

وَمَا أَصَابَ ابْنَهُ وَالسَّوْطُ يَأْخُذُهُ ... لَدَيْهِ مِنْ رَأْفَةٍ فِى الحَدِّ يُبْدِيها

إنَّ الذِى بَرَأَ الفَارُوقَ نَزَّهَهُ ... عَنِ النَّقَائِصِ وَالأَغْرَاضِ تَنْزِيها

فَذَاكَ خَلْقٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ طِينَتُهُ ... اللهُ أوْدَعَ فِيها مَا يُنَقِّيها

لاَ الكِبْرُ يَسْكُنُها لاَ الظُّلْمُ يَصْحَبُهَا * لاَ الحِقْدُ يَعْرِفُها لاَ الحِرْصُ يُغْوِيها

عمر وعمرو بن العاص

شاطَرْتَ دَاهِيَةَ السُّوَّاسِ ثَرْوَتَهُ ... وَلَمْ تَخِفْهُ بِمِصْرٍ وَهْوَ وَالِيها

وأنت تعرف عمراً في حواضرها ... ولست تجهل عمراً في بواديها

لم تنبت الأرض كابن العاص داهية * يرمى الخطوب برأى ليس يخطيها

فلم يرُغ حيلة فيما أمرت به ... وقام عمرو إلى الأجمال يزجيها

ولم تقل عاملاً منها وقد كثرت ... أمواله وفشا في الأرض فاشيها

عمر وولده عبد الله

وما وقى ابنك عبد الله أينقه ... لما اطلعت عليها في مراعيها

رأيتها في حماه وهي سارحة ... مثل القصور قد اهتزت أعاليها

فقلت ما كان عبد الله يشبعها ... لو لم يكن ولدى أو كان يرويها

قد استعان بجاهى في تجارته ... وبات باسم أبى حفص ينميها

ردوا النياق لبيت المال إن له ... حق الزيادة فيها قبل شاريها

وهذه خطة لله واضعها ... ردت حقوقاً فأغنت مستميحيها

ما الاشتراكية المنشود جانبها ... بين الورى غير مبنى من مبانيها

فإن نكن نحن أهليها ومنبتها ... فإنهم عرفوها قبل أهليها

عمر ونصر بن حجاج

جنى الجمال على نصر فغربه ... عن المدينة تبكيه ويبكيها

وكم رمت قسمات الحسن صاحبها ... وأتعبت قصبات السبق حاويها

وزهرة الروض لولا حسن رونقها ... لما استطالت عليها كف جانيها

كانت له لمة فينانة عجب ... على جبين خليق أن يحليها

وكانَ أنَّى مَشَى مَالتْ عَقائلُها ... شَوْقاً إليْهِ وكادَ الحُسْنُ يَسْبيها
هتفنَ تحتَ الليالى باسْمِهِ شغفاً ... وَللحِسان تمنٍّ في لياليها
جَزَزْتَ لِمَّتَهُ لَمَّا أُتيتَ بهِ ... ففاقَ عاطِلُها فى الحُسْنِ حاليها
فَصِحتَ فيهِ تحوَّلْ عن مَدِينتِهِمْ ... فإنَّها فِتْنةٌ أَخْشَى تَمادِيها
وَفِتْنَةُ الحُسْنِ إنْ هبَّتْ نوافِحُها ... كَفِتْنَةِ الحَرْبِ إنْ هبَّتْ سَوَافِيها

عمر ورسول كسرى

ه وراعَ صاحِبَ كِسْرَى أنْ رأى عُمَراً ... بَيْنَ الرَّعيَّةِ عُطْلاً وَهْوَ راعيها
× وعَهْدُهُ بِمُلوكِ الفُرْسِ أنَّ لهَا ... سُوراً منَ الجُنْدِ والأحْراسِ يَحْميها
ه رَآهُ مُسْتغرِقاً فى نَوْمِهِ فرأى ... فِيهِ الجلالَةَ في أسْمى مَعانيها
ه فوقَ الثَّرى تحتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلاً ... بِبُرْدَةٍ كادَ طولُ العَهْدِ يُبلِيها
ه فهانَ فى عَينِهِ ما كانَ يُكْبِرُهُ ... مِنَ الأكاسِرِ والدُّنيا بأيْدِيها
٩ وقالَ قوْلةَ حقٍّ أصبحتْ مثلاً ... وأصبحَ الجيلُ بَعْدَ الجيلِ يَرْويها
ه أمِنتَ لمَّا أقمْتَ العَدْلَ بَيْنَهُمُ ... فنِمتَ فيهم قريرَ العَيْنِ هانيها

عمر والشورى

× يارافعاً رايَةَ الشُّورَى وحارِسَها ... جزاكَ رَبُّكَ خَيْراً عَنْ مُحِبِّيها
ه لَمْ يُلْهِكَ النَّزْعُ عَنْ تأْييدِ دَوْلتِها ... وَلِلْمَنيَّةِ آلامٌ تُعانيها
لَمْ أنسَ أمْرَكَ لِلمِقْدادِ يَحْمِلُهُ ... إلى الجماعةِ إنْذاراً وتَنْبيها
إنْ ظَلَّ بعدَ ثَلاثٍ رأيُها شُعَباً ... فجرِّدِ السَّيفَ واضْرِبْ في هَوادِيها

فأعجبْ لقوةِ نفسٍ ليس يصرفُها ... طعمُ المنيةِ مُرًّا عن مراميها
درى عميدُ بني الشورى بموضعِها ... فعاشَ ما عاشَ يبنيها ويُعليها
وما استبدَّ برأيٍ في حكومتِه ... إنَّ الحكومةَ تُغري مستبديها
رأيُ الجماعةِ لا تشقى البلادُ به ... رغمَ الخلافِ ورأيُ الفردِ يُشقيها

مثال من زهده

يا مَنْ صدفتَ عن الدنيا وزينتِها ... فلم يغرَّكَ مِنْ دُنياكَ مُغريها
ماذا رأيتَ ببابِ الشامِ حين رأوا ... أنْ يُلبسوكَ من الأثوابِ زاهيها
ويُركبوكَ على البِرذونِ تقدمُهُ ... خيلٌ مطهمةٌ تحلو مرائيها
مشى فهملجَ مختالاً براكبِهِ ... وفي البراذينِ ما تُزهى بعاليها
فصحتَ يا قومِ كادَ الزهوُ يقتلُني ... وداخلتْني حالٌ لستُ أدريها
وكادَ يصبو إلى دنياكُمُ عمرٌ ... ويرتضي بيعَ باقيهِ بفانيها
رُدُّوا ركابي فلا أبغي به بدلاً ... رُدُّوا ثيابي فحسبي اليومَ باليها

مثال من رحمته

ومَنْ رآهُ أمامَ القِدرِ منبطحاً ... والنارُ تأخذُ منهُ وهو يُذكيها
وقدْ تخلَّلَ في أثناءِ لحيتِه ... منها الدخانُ وفوهُ غابَ في فيها
رأى هناكَ أميرَ المؤمنين على ... حالٍ تَروعُ لَعَمْرُ اللهِ رائيها
يستقبلُ النارَ خوفَ النارِ في غدِه ... والعينُ مِن خشيةٍ سالتْ مآقيها

مثال من تقشفه وورعه

إنْ جاعَ في شدةٍ قومٌ شرِكتهمُ ... في الجوعِ أو تنجلي عنهمْ غواشيها

جوعُ الخليفةِ والدُّنيا بقبضتهِ ... في الزُّهْدِ منزلةٌ سبحانَ موليها

فمَنْ يباري أبا حفصٍ وسيرَتَهُ ... أو منْ يحاولُ للفاروقِ تشبيها

يومَ اشتهتْ زوجُه الحلوى فقالَ لها ... منْ أينَ لي ثمنُ الحلوى فأشريها

لا تمتطي شهواتِ النفسِ جامحةً ... فكِسرةُ الخبزِ عنْ حلواكِ تجزيها

وهلْ يفي بيتُ مالِ المسلمينَ بما ... توحي إليكِ إذا طاوعتِ موحيها

قالتْ لكَ اللهُ إني لستُ أرزؤهُ ... مالاً لحاجةِ نفسٍ كنتُ أبغيها

لكنْ أجنِّبُ شيئاً منْ وظيفتنا ... في كلِّ يومٍ على حالٍ أسوِّيها

حتى إذا ما ملكنا ما يكافئها ... شريتُها ثمَّ إني لا أثنِّيها

قالَ اذهبي واعلمي إنْ كنتِ جاهلةً ... أنَّ القناعةَ تغني نفسَ كاسيها

وأقبلتْ بعدَ خمسٍ وهيَ حاملةٌ ... دُريهماتٍ لتقضي منْ تشهيها

فقالَ نبهتِ مني غافلاً فدعي ... هذي الدَّراهمَ إذْ لا حقَّ لي فيها

ويلي على عمرٍ يرضى بموفيةٍ ... على الكفافِ وينهى مستزيديها

ما زادَ عنْ قوتنا فالمسلمونَ بهِ ... أولى فقومي لبيتِ المالِ رُدِّيها

كذاكَ أخلاقهُ كانتْ وما عُهدتْ ... بعدَ النبوَّةِ أخلاقٌ تحاكيها

مثال من هيبته

في الجاهليةِ والإسلامِ هيبتُهُ ... تثني الخطوبَ فلا تعدو عواديها

في طيِّ شدَّتهِ أسرارُ مرحمةٍ ... للعالمينَ ولكنْ ليسَ يفشيها
وبينَ جنبيهِ في أوفى صرامتهِ ... فؤادُ والدةٍ ترعى ذراريها
أغنتْ عنِ الصارمِ المصقولِ درَّتهُ ... فكم أخافتْ غويَّ النفسِ عاتيها
كانتْ لهُ كعصا موسى لصاحبها ... لا ينزلُ البطلُ مجتازاً بواديها
أخافَ حتى الذراري في ملاعبها ... وراعَ حتى الغواني في ملاهيها
أريتَ تلكَ التي للهِ قدْ نذرتْ ... أنشودةً لرسولِ اللهِ تهديها
قالتْ نذرتُ لئنْ عادَ النبيُّ لنا ... منْ غزوهِ لعلى دفي أغنيها
ويممتْ حضرةَ الهادي وقدْ ملأتْ ... أنوارُ طلعتهِ أرجاءَ ناديها
واستأذنتْ ومشتْ بالدفِّ واندفعتْ ... تشجي بألحانها ما شاءَ مشجيها
والمصطفى وأبو بكرٍ بجانبهِ ... لا ينكرانِ عليها منْ أغانيها
حتى إذا لاحَ عنْ بعدٍ لها عمرُ ... خارتْ قواها وكادَ الخوفُ يرديها
وخبأتْ دفها في ثوبها فرقاً ... منهُ وودتْ لوَ انَّ الأرضَ تطويها
قدْ كانَ حلمُ رسولِ اللهِ يؤنسها ... فجاءَ بطشُ أبي حفصٍ يخشيها
فقالَ مهبطُ وحيِ اللهِ مبتسماً ... وفي ابتسامتهِ معنًى يواسيها
قدْ فرَّ شيطانُها لمَّا رأى عمراً ... إنَّ الشياطينَ تخشى بأسَ مخزيها

مثال من رجوعه الى الحق

وفتيةٍ ولعوا بالراحِ فانتبذوا ... لهمْ مكاناً وجدُّوا في تعاطيها
ظهرتَ حائطهمْ لمَّا علمتَ بهمْ ... والليلُ معتكرُ الأرجاءِ ساجيها

حتى تبينتهم والخمر قد أخذت ... تعلو ذؤابة ساقيها وحاسيها

سفهت آراءهم فيها فما لبثوا ... أن أوسعوك على ما جئت تسفيها

ورمت تفقيههم في دينهم فإذا ... بالشرب قد برعوا الفاروق تفقيها

قالوا مكانك قد جئنا بواحدة ... وجئتنا بثلاث لا تباليها

فأت البيوت من الأبواب يا عمر ... فقد يزن من الحيطان آتيها

واستأذن الناس أن تغشى بيوتهم ... ولا تلم بدار أو تحييها

ولا تجسس فهذي الآي قد نزلت ... بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها

فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم ... لما رأيت كتاب الله يمليها

وما أنفت وإن كانوا على حرج ... من أن يحجك بالآيات عاصيها

عمر وشجرة الرضوان

وسرحة في سماء السرح قد رفعت ... بيعة المصطفى من رأسها تيها

أزلتها حين غالوا في الطواف بها ... وكان تطوافهم للدين تشويها

الخاتمة

هذي مناقبه في عهد دولته ... للشاهدين وللأعقاب أحكيها

في كل واحدة منهن نابلة ... من الطبائع تغذو نفس واعيها

لعل في أمة الإسلام نابتة ... تجلو لحاضرها مرآة ماضيها

حتى ترى بعض ما شادت أوائلها ... من الصروح وما عاناه بانيها

وحسبها أن ترى ما كان من عمر ... حتى ينبه منها عين غافيها

شرح القصيدة

(حسبُ القوافي وحسبي حين أُلقيها أني إلى ساحة الفاروق أُهديها)

حسبُ القوافي مبتدأ ، وحسبي معطوف عليه ، وحسبُ فيها بمعنى كافٍ والقوافي جمع قافية وهي آخر كلمة في بيت الشعر تطلق ويراد بها نفس الشعر قال الشاعر

وكم علَّمته نظم القوافي ولما قال قافية هجاني

وجملة أني الى آخرها خبر المبتدأ الأول ، وخبر حسبي المعطوف محذوف لدلالة الأول عليه ، وأُلقيها بمعنى أُبلغها ، وأُهديها أقدمها تكرمة ، والساحة يريد بها المقام وجمعها سُوح ، والفاروق لقب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لقب به يوم أسلم . ذكر ابن الجوزي [1] في مناقب عمر عن ابن عباس [2] رضي الله عنه قال « سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق » فذكر حديث إسلامه إلى أن قال « فأخرجنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفين له كديد [3] ككديد الرّحى حتى دخلنا المسجد فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق » وأصل الفاروق من يفرق بين الأمور أي يفصلها

(لا هُمَّ هب لي بيانا أستعين به على قضاء حقوق نام قاضيها)

لا هُمَّ أصله يا ألله حذف حرف النداء وعوض عنه ميم مشددة في آخره

---

(١) ابن الجوزي أبو الفرج الحافظ البغدادي مؤلف مناقب عمر (٢) ابن عباس عبد الله بن عم النبي صلى الله عليه وسلم الملقب بحبر الأمة (٣) الكديد صوت الرحى إذا جرشت الملح

للتفخيم فصار ألّهم وحذفت منـه الألف واللام عـلى عادة العرب فى الدعاء فصارت لا هُمَّ ، وأستعين به أستمد العون منه ، وقضاء الحقوق أداؤها ، ونام بمعنى غفل ، والمراد بالقاضى هنا من شأنه أن يقضى لا من قضى بالفعل فالإضافة لأدنى مُلابسة

(قد نازعتنيَ نفسى أن أوفيَها وليس فى طوق مثلى أن يوفيْها)

نازعتنى خاصمتنى ، والتوفية الأداء تاما وافيا ، والطوق القدرة ، وحق يوفيها أن يكون منصوبا ولـكنه سكن للضرورة ، وسيأتى مثله فلا حاجة لتكرير التنبيه

(فمُرْ سَريَّ المعانى أن يواتيَنى فيها فإنى ضعيف الحال واهيها)

مُرْ فعل دعاء كهب فى البيت السابق ، وسريُّ المعانى جيدها لأن السرىّ الجيد من كل شيْء ، ويواتينى من واتاه على الأمر طاوعه عليـه ، والحال تذكر وتؤنث وهي واحدة الأحوال للانسان وغيره ، والمراد أنه محتاج للتقوية وعون الله تعالى ، وواهيها تأكيد لضعيف الحال يفيد شدة الضعف

بعد أن قدم حافظ رحمه الله بهذه الأبيات لقصيدته التى جعل كفايته من نظمها أن يهديها إلى عمر رضى الله عنـه ، وبعد أن استمد العون من الله تعالى ليهب له من البيان والمعانى ما يقوى ضعفه ، ويشد أزره لتوفية حقوق الممدوح بإطرائه وإحسان الثناء عليـه والتنوية بمناقبه ، شرع يفصل آيات هـذا الثناء ويعدد ما فى حياة الممدوح من الحوادث الـكُبر ، فجعل استهلال هذه الحوادث حادثة مقتله مع أنها آخرة الحوادث فى حياته وقد حدث يوم أن نشرها أن تظنن بعض الناس فى هـذا الإختيار وقالوا ألم يكن الأولى به أن ينهج نهج المؤرخين فيرتب الحوادث مبتدئاً بجاهليـة عمر ثم بإسلامه فصحبته فخلافته ثم يختم حياته بهذه الحادثة وما دروا أن حافظا باعتباره شاعرا لا يتقيد بهـذا القيد فلم يكن

مؤرخا ولا قاصا و إنما هو ذو فن ووحي شعري وكل ذى فن يعمد إلى أروع الصور وأفجع الحوادث فيجعلها سدى موضوعه ، والصورة الفاجعة تلفت النظر وتنبه الشعور فيكون التأثير بها أبلغ والمدى بإفادتها أبعد . وقرض الشعر فن وما مثل الشاعر إلا كمثل المصور والموسيقي يجيش الخيال فى رؤسهم بالصور الرائعة أو الفاجعة فيصورها هذا نغما وهذا نظما وذاك صورة

بدأ حافظ بذكر مقتل عمر الإمام العادل لينبه شعور القارئ ويثير من نفسه بفداحة الفجيعة بمقتله وليلفت النظر إلى الأثر البعيد الذى تركه هذا الحادث لأول نهضة الإسلام وقيام دولته . يعرف هذا الأثر من يعرف تاريخ الإسلام وبخاصة من يعرف تاريخ الصدر الأول ولست فى مقام بسط الكلام فى هذا الموضوع ولكنى أشير إليه بما روي عن حذيفة (بن اليمان) من كبار الصحابة قال « لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قوة فلما قتل كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا ضعفا »

هذا غرض حافظ رحمه الله من الاستهلال بهذه الحادثة ولقد وفق بحمد الله إلى التلميح فى ذكر هذه القصة إلى شىء كثير من هذا المعنى كما وفق فى قصيدته إلى أغراض جمة من إطراء عمر والثناء عليه والتنويه بمناقبه و إفادة ضروب من التاريخ والأدب واللغة والفن

ولنعد إلى ذكر المقصود من شرح القصيدة

مقتل عمر

٩ (مولى المغيرة لاجادتك غادية   من رحمة الله ماجادت غواديها)

مولى المغيرة هو أبو لؤلؤة قاتل عمر ، والمغيرة هو المغيرة بن شعبة سيده ،

لاجادتك لا دعائية وجادتك أمطرتك ، والغادية السحابة تنشأ غدوة ، وما مصدرية وجملة جادت غواديها صلتها ، والرحمة المغفرة

(مزقت منه أديما حشوه همم   فى ذمة الله عاليها وماضيها)

الأديم البشرة ، والهمم جمع همة وهى العزم القوي ، وعالى الهمم وماضيها يريد الهمم العالية والهمم النافذة من إضافة الصفة إلى الموصوف . وفى ذمة الله دعاء لعمر بأن يكون فى جوار الله تعالى ورحمته . وفى البيت تلميح إلى قول أحد نعاة عمر

جزى الله خيرا من إمام وباركت   يد الله فى ذاك الأديم الممزق

(طعنت خاصرة الفاروق منتقما   من الحنيفة فى أعلى مجاليها)

الخاصرة مقط الضلوع المشرف على البطن ، والحنيفة مؤنث حنيف وهو المائل عن الباطل الى الحق والمراد بها الملة الإسلامية لأنها مائلة بأحكامها عن كل باطل إلى الحق وفى الحديث وردت الحنيفية قال صلى الله عليه وسلم « بعثت بالحنيفية السمحة » والمجالى جمع مجلى بمعنى مظهر .

وقصة مقتل عمر رضى الله عنه نقلها ابن الجوزي عن ابن شهاب الزهري أحد الأعلام الثقات قال : كان عمر لا يأذن لمشرك قد احتلم بدخول المدينة حتى كتب له المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صانعا ويستأذنه أن يدخله المدينة ويقول إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد نقاش نجار فأذن له أن ارسله إلى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم كل شهر فجاء إلى عمر يشتكى شدة الخراج فقال له عمر ماذا تحسن من العمل فذكر له الأعمال التى يحسن فقال له عمر ما خراجك بكثير على كنه عملك فانصرف ساخطا يتذمر فلبث عمر ليالىَ ثم إن العبد مر به فدعاه فقال ألم أحدث عنك أنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت العبد ساخطا عابسا إلى عمر ومع عمر

رهط فقال لأصنعن لك رحى يتحدث بها الناس . فلما ولى العبد أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم أوعدنى العبد آنفا ، فلبث لياليَ ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى غلس السحر فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة (صلاة الفجر) وكان عمر يفعل ذلك فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاقين وهى التى قتلته ثم انحاز أيضا على أهل المسجد فطعن من يليه حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلا ثم انتحر بخنجره . فقال عمر حين أدركه النزف قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس ثم غلب عمر بالنزف حتى غشي عليه

قال ابن عباس « فاحتملت عمر فى رهط حتى أدخلته بيته » ثم صلى بالناس عبدالرحمن بن عوف فأنكر الناس صوت عبدالرحمن بن عوف قال ابن عباس فلم أزل عند عمر ولم يزل فى غشية واحدة حتى أسفر (أضاء الصبح) فلما أسفر أفاق فنظر فى وجوهنا فقال « أصلى الناس ؟ قلت نعم » فقال « لا إسلام لمن ترك الصلاة » ثم دعا بوضوء فتوضأ ثم صلى ثم قال « اخرج يابن عباس فسل من قتلنى » فخرجت حتى خرجت من باب الدار فإذا الناس مجتمعون جاهلون بأمر عمر فقلت « من طعن أمير المؤمنين » قالوا طعنه عدو الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، قال فدخلت فإذا عمر يمدنى النظر يستأنى (يتعجل) خبر ما بعثنى إليه فقلت « أرسلنى أمير المؤمنين لأسأل من قتله فكلمت الناس فزعموا أنه طعنه عدو الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ثم طعن معه رهطا ثم قتل نفسه » فقال « الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى عند الله بسجدة سجدها له قط ما كانت العرب لتقتلنى » قال سالم (بن عبد الله بن عمر بن الخطاب) فسمعت

عبد الله بن عمر (يعنى أباه) يقول « قال عمر ارسلوا إلى طبيب ينظر إلى جرحى هذا » فأرسلوا إلى طبيب فسقى عمر نبيذا (منقوع التمر) فشبه النبيذ بالدم حين خرج من الطعنة التى تحت السرة ، فدعوت طبيبا آخر من الأنصار من بنى معاوية فسقاه لبنا فخرج اللبن من الطعنة أبيض فقال له الطبيب « ياأمير المؤمنين اعهد » فقال عمر « صدقنى أخو بنى معاوية ولو قلتَ غير ذلك لكذبتك » قال فبكى عليه القوم حين سمعوا فقال « لا يُبكى علينا ، من كان باكيا فليخرج ، ألم تسمعوا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يعذب الميت ببكاء أهله عليه » عن عبد الله بن عمر قال « سمعت عمر يقول لقد طعننى أبو لؤلؤة وما أظنه إلا كلبا حتى طعننى الثالثة (يريد مصابا بداء الكلب)

وروى ابن الأثير فى أسد الغابة عن أبى رافع (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن أبا لؤلؤة لما طلب إلى عمر ما طلب قال له عمر « اتق الله وأحسن إلى مولاك » ومن نية عمر أن يلقى المغيرة فيكلمه أن يخفف عنه فغضب العبد وقال « وسع الناس عدله غيرى » فأضمر على قتله فاصطنع له خنجرا له رأسان وشحذَه وسمّه ثم أتى الهرمُزان (أمير فارسى قاوم جيوش المسلمين فى فتح فارس وهزم مرارا ثم أسر وسير به الى المدينة فأسلم للتخلص من القتل وبقي الى أن قتل) فقال « كيف ترى هذا » قال « إنك لا تضرب به أحدا إلا قتلته » قال فتحين أبو لؤلؤة عمر فجاءه فى صلاة الغداة حتى قام وراء عمر وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يقول « أقيموا صفوفكم » فقال كما كان يقول فلما كبر وجأه أبو لؤلؤة (ضربه بالخنجر) فى كتفه ووجأه فى خاصرته وقيل ضربه ست ضربات فسقط عمر وطعن أبو لؤلؤة بخنجره ثلاثة عشر رجلا فهلك منهم سبعة

هذه أشهر الروايات التى وردت فى مقتل عمر وسببه ، وفى رواية لأبى جعفر

الطبري أن عبيدالله بن عمر قتل بأبيه ابنة أبي لؤلؤة وقتل جفينة رجلا نصرانيا من أهل الحيرة أتى به سعد بن أبي وقاص (الزهري) ليعلم الناس الكتابة وقتل الهرمزان وأن سبب قتله الأخيرين أن عبد الرحمن بن أبي بكر (الصديق) قال غداة قتل عمر رأيت عشية الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه وهو الخنجر الذى ضرب به عمر ، فقتلهم عبيد الله وقال « والله لأقتلن رجالا ممن شرك فى دم أبى » يعرض بالمهاجرين والأنصار فبلغ ذلك صهيبا (بن سنان) فبعث اليه عمرو ابن العاص فما زال به حتى أخذ منه السيف ثم ساوره سعد بن أبي وقاص وأخذه وحبسه فى داره

ومن هذه الرواية ذهب بعض المؤرخين إلى أن قتل عمر كان نتيجة مؤامرة سياسية بين الهرمزان وأبى لؤلؤة وجفينة ولعل تعريض عبيدالله بن عمر بالمهاجرين والأنصار كان منشأه الظن فقد روي عن جعفر (الصادق) بن محمد عن أبيه رضى الله عنهما قال « لما طعن عمر رضوان الله عليه اجتمع إليه البدريون المهاجرون والأنصار فقال لابن عباس » اخرج إليهم فسلهم عن ملأ منكم ومشورة كان هذا الذى أصابنى » فخرج ابن عباس فسألهم فقال القوم « لا والله ولوددنا أن الله زاد فى عمره من أعمارنا »

ولنعد إلى ما رتبه حافظ على مقتل عمر رضي الله عنه

٨ (فأصبحت دولة الإسلام حائرة تشكو الوجيعة لما مات آسيها)

الحائر الذى لا يهتدى إلى سبيل ، والمعروف فى مؤنثه حيرى وحيراء ولعل حافظا رحمه الله اطلع على ما لم أطلع عليه ، والمراد بالوجيعة الآلام الموجعة التى ستتخلف للدولة عن مقتل عمر ، فجملة تشكو الوجيعة حال مقدرة من ضمير حائرة

لأن عمر لم يتركها فى أي وجيعة بل تركها قوية كما يدل عليه البيت الآتى والآسى الطبيب وجمعه أساة ويريد به عمر

(مضى وخلفها كالطود راسخة وزاد بالعدل والتقوى مغانيها)

الطود الجبل العظيم ، وراسخة ثابتة ، والمغانى جمع مغنى أصلها المنازل التى غني بها أهلوها والمراد بها هنا العمران ، والتقوى اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه

(تنبو المعاول عنها وهى قائمة والهادمون كثير فى نواحيها)

تنبو المعاول عنها أي تقصر وترتد ، والمعاول جمع معول وهو الفأس العظيمة والنواحى جمع ناحية بمعنى الجانب ، ويشير بالهادمين الى أعدائها من دخلاء ومقهورين منتشرين فى جوانبها يتربصون لها السوء

(حتى إذا ما تولاها مهدمها صاح الزوال بها فاندك عاليها)

هدم وهدّم بمعنى والتشديد فى الأول للمبالغة ، والمهدم ناقض البناء ومسقطه والتهديم يستعار لنقض غير البناء كتهديم الدولة هنا ، والزوال الفناء ، واندك مطاوع دك ، يريد أن مجدها العالى قد انتقض وانحط الى أسفل حينما غلب على أمرها المهدمون

(واهاً على دولة بالأمس قد ملأت جوانب الشرق رغداً من أياديها)

واها كلمة يراد بها التلهف على ما فات ، والدولة الملك العظيم ، وعند أرباب السياسة المَلِك والوزراء والبلاد ، والرغَد خصب العيش ، والأيادى جمع أيد ، وأيد جمع يد ، وتطلق الأيادى على النعم والغياث ومنع الظلم والقوة والسلطان

(كم ظللتها وحاطتها بأجنحة عن أعين الدهر قد كانت تواريها)

التظليل معروف ومنه قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام أى سخرناه ليظلهم والحياطة الحفظ والرعاية ، والمراد بأعين الدهر كوارثه ، وتواريها تخفيها ، وكم

خبرية والعامل فيها ظللت وفاعل ظللت ضمير مستتر عائد إلى دولة والضمير الظاهر مفعوله يعود على جوانب الشرق ، وفى البيت استعارتان بالكناية الأولى مبنية على تشبيه الدولة بالطائر والثانية على تشبيه الدهر بالإنسان

(من العناية قد ريشت قوادمها   ومن صميم التقى ريشت خوافيها)

العناية الحفظ ، وريشت قوادمها بمعنى نبتت ، والقوادم عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر ، والخوافى عشر ريشات أخرى تحت القوادم ، وصميم التقى خالصه والتقى والتقوى بمعنى واحد والمراد أن الدولة نمت بعناية الله وتقواه ، وفى البيت تشبيه للدولة كالسابق

(والله ما غالها قِدماً وكاد لها   واجتث دوحتها إلا مواليها)

غالها من الغَوْل يريد أهلكها وأخذها من حيث لا تدرى ، والقِدْم إسم للزمان القديم تقول كان ذا قدما أي فى الزمان القديم ، وكاد لها مأخوذ من الكيد بمعنى أرادها بالسوء ، واجتث دوحتها قطعها ، والدوحة الشجرة العظيمة ، والموالى يطلق على طوائف من الناس ولكن المراد به هنا الأعاجم والأرقاء الذين التصقوا بالدولة وغلبوا على أمرها

(لو أنها فى صميم العُرب قد بقيت   لما نعاها على الأيام ناعيها)

صميم العرب أصلهم وخالصهم ، والعُرب والعَرب واحد وهم غير العجم ونعاها أخبر بموتها ، وفى البيت إشارة الى خروج الحكومة من يد العرب ، وهذا وقع فى أواخر الدولة العباسية إذ حدث على عهد المعتصم أن أسقط الجند العربى من ديوان الخلافة بتغلب الموالى وانتهى الحال إلى سقوط الدولة فى يد المغول

(يا ليتهم سمعوا ما قاله عمر   والروح قد بلغت منه تراقيها)

يا ليتهم حرف النداء للتنبيه ، وليت الناصبة لتمنى المستحيل ، وما قاله عمر

إشارة الى نهيه عن جلب الموالى إلى المدينـة ففى رواية عن ابن عمر أن عمر كان يكتب لأمراء الجيوش لا تجلبوا علينا من العلوج أجراء (العلوج الـكفار) وأنه قال عند ما طعن ألم أقل لـكم لا تجلبوا علينا من العلوج أحـداً فغلبتمونى والروح تذكر وتؤنث ، والتراق جمع ترقوة وهى عظام الحلق وبما أنها جزء من الجسم كان حقها أن تضاف إليـه ولـكنها أضيفت إلى الروح لأن التراق نهاية ما تصل إليه الروح عند الغرغرة والموت فالإضافة لأدنى ملابسة

(لا تكثروا من مواليكم فإن لهم   مطامعا بسمات الضعف تخفيها)

لا تكثروا من مواليكم إلى آخر البيت مقول القول السابق ، والمطامع جمع مطمع وهو ما يطمع فيه ويحرص عليه وصرفت للضرورة ، والبسمات جمع بسمة وهى التبسم وقد يصطنعه الضعيف ليظهر غير ما يبطن ، وعمر كان مشهورا بكراهة الاستكثار من الموالى يدل على ذلك ما ذكره ابن الجوزي من أن عمر حينما سأل ابن عباس عمن قتله قال له قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس رضي الله عنـه أكثرهم رقيقا فقال إن شئت فعلنا أي قتلناهم قال تـكذب بعد ما تـكلموا بلسانـكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم

اسلام عمر وصفته

اختلف المؤرخون فى إسلام عمر وصفته على روايات والظاهر أن حافظا رحمه الله آثر منها رواية محمـد بن إسحاق على غيرها وابن إسحاق ثبت فى الحديث عند أكثر العلماء لا تجهل إمامته فى الحديث والسير وقد قال فى آخر روايته إنها حديث الرواة من أهل المدينة وهاهي بحذف مالا يضر حذفه منها

قال ابن إسحاق رحمه الله : كان إسلام عمر أن أخته فاطمة زوجة سعيد بن

زيد كانت قد أسلمت وأسلم زوجها وكانا مستخفيين بإسلامهما من عمر وكان نعيم ابن عبد الله النحام (مولى آل عمر) من بني عدي قد أسلم ويستخفي فرقاً من قومه وكان خبّاب بن الأرت يختلف إلى فاطمة يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه وهم قريبا من أربعين بين رجال ونساء قد اجتمعوا عند الصفا فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه حمزة وأبو بكر وعلي وغيرهم رضي الله عنهم ممن أقام بمكة ولم يخرج الى الحبشة فلقي نعيم بن عبد الله المذكور عمر فقال له أين تريد قال أريد محمدا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال وأي أهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد (الختن الصهر) واختك فاطمة فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا إلى أُخته وختنه وعندهما خبّاب ابن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم أو فى بعض البيت وأخفت فاطمة الصحيفه فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليها فلما دخل قال ما هذه الهينمة (الصوت الخفي) التى سمعت قالا له ما سمعت شيئا قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالا له نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته اعطنى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرؤن آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد وكان عمر كاتبا قالت أخته إنا نخشاك عليها قال لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها إذا

قرأها إليها فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه فقالت له يا أخى إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإنى سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام (أبى جهل) أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك عمر فدلنى ياخباب على محمد آتيه فأسلم فقال له خباب هو فى بيت (دار ابن الأرقم) عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل منهم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر متوشحا السيف فقال حمزة بن عبد المطلب فائذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته (معقد إزاره) أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة (مقلوب جذب وبمعناه) شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال عمر يارسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزّ ما فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم وفى رواية عن ابن عباس قال فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد

قال السهيلى الفقيه المحدث وحديث إسلام عمر وإن كان من أحاديث السير فقد خرجه الدارقُطنى فى سننه غير أنه خرج من طريق أنس (بن مالك) أن أخت عمر قالت له إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ففى هذه الرواية أنه كان وضوءا ولم يكن اغتسالا . وفى رواية يونس أن عمر حين قرأ فى الصحيفة سورة طه انتهى فيها إلى قوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى فقال ما أطيب هذا الكلام وأحسنه وذكر هذا الحديث بطوله

ولنرجع الى القصة فى القصيدة . قال حافظ يخاطب عمر رضى الله عنه

(رأيت فى الدين آراء موفقة   فأنزل الله قرآنا يزكيها)

الآراء جمع رأي والموفقة المسددة ، وأنزل الله قرآنا يزكيها يؤيدها ، والبيت يشير الى موافقات عمر لبعض آي القرآن ، ذكر ابن الجوزي أن أنس (بن مالك) روى عن عمر رضي الله عنه قال وافقت ربى عز وجل فى ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وقلت يارسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلوأ مرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب ، واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه فى الغيرة فقلت لهن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك ، وقيل إن الثلاث مقام إبراهيم والحجاب وأسارى بدر فان عمر كان قد أشار بقتلهم وأشار أبو بكر بالإبقاء عليهم فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم برأي أبى بكر فأيد القرآن رأي عمر

وعن نافع (مولى ابن عمر) عن ابن عمر قال ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه قولا وقال فيه عمر بن الخطاب إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر

(وكنت أول من قرت بصحبته   عين الحنيفة واجتازت أمانيها)

قرت العين برد دمعها بمعنى سرت ، ويريد بصحبته إسلامه ، واجتياز الأمانى

بلوغها والأمانى جمع أمنية ، وأصـل الجمع أمانيّ بالتشديد خفف بحذف احدى اليائين كالأثافي جمع أثفية ، وقرأ بعض القراء أمانيُ مخففة فى قوله تعـالى ليس بأمانيكم ولا أمانى أهـل الـكتاب وفى غير موضع من القرآن الـكريم وفى البيت تشبيه الحنيفة بمعنى الملة بالإنسان

(قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها بنعمة الله حصنا من أعاديها)

العداوة الخصومة ، وأعاد جمع أعداء . وأعدى أفعل التفضيل ، والنعمة المنة وما يعطيه الله للعبد ، والحصن معروف والمراد أن عمر كان أشد أعداء الإسلام عدواة له فلما أنعم الله عليه بالإسلام صار أشد الناس دفاعا عنه فـكان له كالحصن

(خرجت تبغى أذاها فى محمدها وللحنيفة جبار يواليها)

خرجت تبغى أذاها يريد إيذاءها بقتل محمد عليه الصلاة والسلام والأذى بمعنى الإيذاء وارد فى القرآن قال تعالى ودع أذاهم وتوكل عـلى الله ، والجبار من أسماء الله الحسنى ومعناه الذى يقهر خلقه على ما أراد، ويواليها ينصرها

(فلم تـكد تسمع الآيات بالغة حتى انـكفأت تناوى من يناويها)

فلم تـكد تـكد مضارع كاد مجزوم حذفت ألفه لالتقاء السا كنين ، واسمه الضمير المستتر تقديره أنت ، وجملة تسمع الآيات خبره ، ويريد بالآيات ما سمعه من خباب بن الأرت حين دخل على أخته فاطمة فى القصة وبالغة مؤكدة لما فيها من وعد ووعيد ، وتناوى تعادى وأصله تناوئ بالهمزة

(سمعت سورة طه من مرتلها فزلزلت نية قد كنت تنويها)

سمعت سورة طه من مرتلها تبيين لما فى البيت السابق ، وزلزلت نية يريد اضطربت ، والنية ما كان يقصده من قتل محمد عليه الصلاة والسلام

(وقلت فيها مقالا لا يطاوله قول المحب الذى قد بات يطريها)

المقال والقول واحد والمراد به قوله السابق فى القصة (ما أحسن هذا الكلام وأكرمه) لايطاوله من الطَّول بمعنى القدرة يريد به المغالبة بمعنى أن المحب لا يقدر على ما يعلو عليه ولا يُحسن الثناء عليها بأحسن منه وفى هذا معنى الإطراء

(و يوم أسلمت عز الحق وارتفعت   عن كاهل الدين أثقال يعانيها)

الخطاب مستمر إلى عمر ، وعز الحق يريد بالحق الاسلام ، وعز قوي بعد ضعف وفى الكلام حذف لأن أصله عز أهل الاسلام والكاهل ما بين الكتفين والأثقال جمع ثقل كنى بها عما كان يحمله المسلمون من الاضطهاد والأذى ويعانيها يقاسيها ، وفى البيت تشبيه الدين بالرجل

روي عن صهيب بن سنان رحمه الله قال لما أسلم عمر رضوان الله عليه ظهر الاسلام ودعى إليه علانية وجلسنا حول البيت حلقا وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتى به

وعن قيس بن أبي حازم قال سمعت عبد الله بن مسعود رحمه الله يقول مازلنا أعزة منذ أسلم عمر

(وصاح فيه بلال صيحة خشعت   لها القلوب ولبت أمر باريها)

وصاح فيه بلال الضمير فى فيه يعود إلى يوم إسلام عمر ، والصياح النداء بأعلى الصوت ، ولعل المراد أن بلالا كبر مع المكبرين من أهل الدار علانيه لأنهم كانوا يستخفون ويسرون شعائر الدين وأسند الصياح الى بلال لأنه كان أصلحهم وبلال هو بلال بن رباح مولى أبي بكر وقد صار بعد مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخشعت القلوب خضعت ، ولبت أمر باريها أجابت إلى الايمان

(فأنت فى زمن المختار منجدها   وأنت فى زمن الصديق منجيها)

فى زمن المختار أي فى عهده والمختار المصطفى من الخلق وهو رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، والضمير فى منجدها عائد إلى الملة ، والمنجد المعين ، وفى الكلام حذف لأن أصله منجد أهلها ، والصديق لقب أبى بكر رضى الله عنه ، ومنجيها من أنجاه كنجاه خلصه ، يريد أن عمر بجمعه الناس على بيعة أبى بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خلص أهل الملة من الفتنة باختلاف القبائل على الخلافة وسيأتى بيان ذلك

(كم استراك رسول الله مغتبطا بحكمة لك عند الرأي يلفيها)

استراك أصله استرآك بالهمزة بمعنى طلب رأيك ، ومغتبطا من الغبطة بمعنى السرور ، والمراد بالحكمة التجارب ومعرفة أفضل الأمور ، وعند الرأي أي عند طلبه ، ويلفيها من ألفى بمعنى وجد

عمر و بيعة أبى بكر

٩ (وموقف لك بعد المصطفى افترقت فيه الصحابة لما غاب هاديها)

الصحابة من جموع الصاحب ولكنه لكثرة استعماله فى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم صار علما عليهم ، والنسبة اليه صحابى وان كان جمعا بخلاف الأصحاب فإنه إذا نسب إليه رد إلى مفرده فقيل صاحبي لا أصحابى ، وغاب فى البيت بمعنى مات ، والهادى المرشد وهو النبي صلى الله عليه وسلم فإنه أرشد إلى الدين ودعا إلى الله تعالى

ذكر ابن الجوزي فى مناقب عمر عن ابن عباس رضي الله عنه عن عمر رضوان الله عليه قال : كان من خبرنا حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا فى بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلف عنا الأنصار بأجمعهم فى سقيفة بنى ساعدة (ظلة كانوا يجلسون تحتها وفيها

حصلت البيعة و بنو ساعدة حي من الأنصار) واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر رضوان الله عليه ، فقلت له يا أبا بكر اجتمع بنا إلى إخواننا ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان فذكرا لنا صنع القوم فقالا : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ فقلت نريد إخواننا من الأنصار ، فقالا : عليكم أن لا تقربوهم ، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين ، فقلت والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى جئناهم ، فإذا هم مجتمعون ، و إذا بين ظهرانيهم رجل مزمل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة ، فقلت ماله قالوا وَجِعٌ ، فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله عزوجل بما هو أهله ، وقال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفَّت دافَّة منكم (يريد قدمت جماعة من بلد إلى بلدنا) تريدون أن تختزلونا من أصلنا (تقتطعونا) وتحضنونا من الأمر (تمنعونا) فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زورت مقالة (حسَّنت) أعجبتنى أريد أن أقولها بين يدي أبي بكر وقد كنت أدارى منه بعض الحدة وهو كان أحلم منى وأوقر فقال أبو بكر على رسلك (أي اتئد فى الأمر) فكرهت أن أغضبه وكان أعلم منى وأوقر والله ما ترك كلمة أعجبتنى فى تزويري إلا قالها فى بديهته وأفضل حتى سكت فقال أما بعد ما ذكرتم من خير فأنتم له أهل ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا وداراً (أرفعهم محلا) قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم وأخذ بيدى ويد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره مما قال غيرها وكان والله أن أقدم فيضرب عنقى أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر إلا أن تغير نفسى عند الموت فقال قائل من الأنصار أنا جُذَيْلها المحكك وعُذَيْقها المرَجَّب (هو الحباب بن المنذر الأنصاري يريد بالأول أنه كجذع الشجرة التى تحتك به الإبل الجرباء لتشتفي به فهو يشتفى برأيه وعلمه ويريد بالثانى

أنه كالنخلة بحملها تُحمى فلا يصل إليها أحد) منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش قال فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار رضي الله عنهم أجمعين . والظاهر أن ما فى هذه الرواية إشارة إلى بعض ما جاء فى خطبة أبي بكر رضي الله عنه لأن نص الخطبة فى روايات أخرى أنه قال : نحن المهاجرون أول الناس إسلاما وأوسطهم داراً وأكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وأكثر الناس ولادة فى العرب وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا قبلكم وقدّمنا فى القرآن عليكم فأنتم إخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الفيء وأنصارنا على العدو آويتم وآسيتم فجزاكم الله خيراً نحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش وأنتم محقوقون أن لا تنفسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساقه الله إليهم إن هذا الأمر وإن تطاولت له الخزرج لم تقصر عنه الأوس وإن تطاولت له الأوس لم تقصر عنه الخزرج وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجراح لا تداوى فإن نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيي الأسد يمضغه المهاجري ويجرحه الأنصاري

قال حافظ :

٥ (بايعت فيه أبا بكر فبايعه على الخلافة قاصيها ودانيها)

بايعه على الخلافة ولاه إياها ، والخلافة إمامة المسلمين وتولى أمورهم ، والضمير فى فيه عائد على موقف فى البيت السابق ، واسم أبي بكر فى الجاهلية عبد الكعبة وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ، واسم أبيه عثمان أبو قحافة ، وهو من تيم قريش ، والقاصي والداني البعيد والقريب

٦ (وأطفئت فتنة لولاك لاستعرت بين القبائل وانسابت أفاعيها)

المراد بالفتنة الخلاف فى الرأي المؤدى إلى القتال ، واستعرت اتقدت ، والقبائل جمع قبيلة وهى الجماعة من العرب بنو أب واحد ، والأفاعى جمع أفعى ، وانسابت جرت ، وفى البيت تشبيه الفتنة بالنار ، وتشبيه الساعين لها بالأفاعى

(بات النبي مسجى فى حظيرته وأنت مستعر الأحشاء داميها)

مسجى من سجى الميت تسجية مد عليه ثوبا ليغطيه ، وفى حظيرته يريد فى حجرته الطاهرة أخذاً من حظيرة القدس ، والاحشاء جمع حشى وهو ما انضمت عليه الضلوع ، ومستعر الأحشاء متقدها ، وداميها جريحها

(تهيم بين عجيج الناس فى دَهَش من نبأة قد سرى فى الأرض ساريها)

تهيم لا تدرى أين تذهب ، والعجيج الصياح ، والدهش الذهول ، والمراد بالنبأة الخبر ، وسرى بمعنى ذاع ، والسارى من السُّرى السير ليلا ، والمراد به هنا خبرَ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى اطلاق السّارى عليه مجاز ذكر ابن الجوزي عن ابن شهاب قال : أخبرنى أنسٌ قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى الناس فقام عمر بن الخطاب خطيبا فى المسجد فقال لا أسمعن أحدا يقول إن محمداً قد مات ولكن أرسل الله إليه كما أرسل الى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة والله إنى لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه قد مات . قال وحدثنى أبو سلمة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن أبا بكر وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس ياعمر فقال أبو بكر رضوان الله عليه أما بعد فمن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله عز وجل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى

الله الشاكرين) قال والله لكأن الناس ما علموا أن أنزلت هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها قال سعيد بن المسيب رحمه الله إن عمر قال والله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعَقِرْتُ (عقر لم تطاوعه رجله) حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض . وفى رواية أخرى نقلها الغزالي أن عمر خطب الناس فقال يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسيفى هذا . ولعل حافظاً أشار الى هذه الرواية الأخيرة فى قوله

(تصيح من قال نفس المصطفى قبضت　　علوت هامته بالسيف أبريها)

يريد بالنفس الروح والهامة الرأس وأبريها أصله من بَرَى السهم نحته ولعله يريد أصيبها

(أنساك حبك طه أنه بشر　　يجرى عليه شؤون الكون مجريها)

شؤون الكون أموره ومجريها مقدرها وهو الله سبحانه وتعالى

(وأنه وارد لابد مورده　　من المنية لا يُعفيه ساقيها)

الوارد الذى يرد الماء ليشرب وضده الصادر والمورد موضع الورود والمراد هنا مورده من المنية ويُعفيه من الإعفاء بمعنى الترك وساقيها هوالله سبحانه وتعالى أو ملاك الموت

(نسيت فى حق طه آية نزلت　　وقد يذكَّر بالآيات ناسيها)

نسيت فى حق طه آية أى فى شأنه وقد يذكر بالآيات ناسيها إشارة إلى تذكير أبى بكر له وللناس بالآيات وقد أجرى هذا الشطر مجرى المثل

(ذهِلتَ يوما فكانت فتنة عمم　　وثاب رشدك فانجابت دياجيها)

ذهل غاب عن رشده فكانت فتنة عمم حدثت والفتنة العمم العامة وثاب رشدك رجع بعد ذهاب والرشد العقل من تسمية الشيء بلازمه والدياجى الظلمات وانجابت بمعنى انكشفت

(فللسقيفة يوم أنت صاحبه فيه الخلافة قدشيدت أواسيها)

السقيفة مر ذكرها وأضاف اليوم إليها يريد الوقائع التى جرت فيه تحتها وجعل عمر صاحبه لأن الفوز كان له ببيعة أبى بكر رضى الله عنهما والأواسى بالتخفيف جمع آسية يراد بها الدعائم يدعم بها البناء ليتقوى واستعيرت فى تقوية الخلافة

(مدت لها الأوس كفًا كي تناولها فمدت الخزرج الأيدى تُباريها)

الأوس والخزرج حيان من قبائل الأزد بن الغَوث مجموعهما الأنصار والأنصار أهل المدينة فى مقابلة المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وتناولها محذوف إحدى التائين أى تتناولها وتباريها تعارضها وتفعل فوق ما تفعل لأنها مدت الأيدى كلها وفى البيت إشارة إلى قول أبى بكر رضى الله عنه فى خطبته إن هذا الأمر وإن تطاولت له الخزرج لم تقصر عنه الأوس وإن تطاولت له الأوس لم تقصر عنه الخزرج

(وظن كل فريق أن صاحبه أولى بها وأتى الشحناء آتيها)

أولى بها أحق وأجدر والشحناء العداوة تملأ النفس مأخوذة من شحن بمعنى ملأ وأتى الشحناء آتيها يريد بَلَغَها وفى البيت وسابقه إشارة إلى ما كان يتوقع بين الحيين من أن أحدهما لو تطلب الخلافة تطلبها الآخر فيحصل الشقاق بين نفس الأنصار بعضهم مع بعض وبينهم وبين المهاجرين وهذا ما تلافاه عمر رضي الله عنه بموقفه الذى وقفه

(حتى انبريت لهم فارتد طامعهم   عنها وأخى أبو بكر أواخيها)

حتى انبريت لهم الخطاب لعمر وانبريت اعترضت والأواخي جمع آخية والآخية عود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة ومنه أخي للدابة فعل لها الآخية وربطها بها فيكون الكلام واردا مورد المجاز باستعمال أخى بمعنى ثبت دعائم الخلافة

عمر وعلى بن أبى طالب

(وقولة لعلي قالها عمر   أكرم بسامعها أعظم بملقيها)

القولة من مصادر قال وأكرم وأعظم صيغتا تعجب والمراد ما أكرم سامعها وما أعظم ملقيها وعلي هو ابن أبى طالب أمير المؤمنين وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته فاطمة رضي الله عنها وهو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت منى بمنزلة هارون من موسى . روي أنه وجمعا من بنى هاشم كانوا يؤملون أن لا تنصرف الخلافة عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال عقبة بن أبى لهب

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف   عن هاشم ثم منهم عن أبى الحسن

وفى رواية عن أبى سعيد الخدرى أنه قال فى حديث طويل إن أبا بكر الصديق صعد المنبر عقب البيعة فنظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير (بن العوام) فدعا الزبير فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب ياخليفة رسول الله فقام فبايعه ثم نظر فى فى وجوه القوم فلم ير علياً فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب ياخليفة رسول

الله فقام فبايعه ويؤخذ من هذه الرواية أن عليا والزبير ترددا قليلا فى بيعة أبي بكر وأنهما بايعا طائعين . وفى رواية عن حميـد بن عبد الرحمن الحميري أن عمر انطلق إلى الزبير وعلي عنـد تخلفهما وجاء بهما تعباً وقال لتبايعان وأنتما طائعان أو لتبايعان وأنتما كارهان فبايعا وحميد هـذا موثق قال ابن سيرين إنه أفقه أهل البصرة . وفى رواية لابن جرير الطبري قال حـدثنا جرير عن مغيرة عن زياد ابن كليب قال أتى عمر بن الخطاب منزل علي وبه طلحة (بن عبد الله) والزبير ورجال من المهاجرين فقال والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجن الى البيعة فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه . فإن كان زياد هذا هو الحنظلي أبو معشر الكوفي فهو موثق والظاهر أن حافظا رحمه الله عول على هذه الرواية الأخيرة

(حرّقت دارك لا أُبقي عليك بها   إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها)

حرقت كأحرقت وشدد للمبالغة والبيت مقول القولة السابقة ، وإن لم تبايع شرط جزاؤه حرقت ، ولا أبقي عليك بها الباء فى بها بمعنى فى والجار والمجرور متعلق بحال محذوف من كاف عليك أي لا أحفظك حالة كونك كائنا فيها ، وجملة وبنت المصطفى فيها حالية يراد بها تفخيم شأن الدار ، والمراد أن عليا لا يعصمه من عمر سكنى بنت المصطفى فى هذه الدار

(ما كان غير أبي حفص يفوه بها   أمام فارس عدنان وحاميها)

أبو حفص كنية عمر ، وفارس عدنان يريد أسدها لأنه كان مشهوراً بالشجاعة وعدنان يريد به العرب الحجازيين المنسوبين لعدنان وهو الجـد العشرون لعلي والحادى والعشرون لعمر

(كلاهما فى سبيل الحق عزمته   لا تنثني أو يكون الحق ثانيها)

كلاهما اسم مفرد يدل على اثنين يلحق بالمثنى اعرابا إذا أضيف الى مُضمر و يعرب بالألف إذا أضيف إلى مظهر ، والسبيل الطريق ، والعزمة هى العزيمة يريد بها القصد ، وتنثنى من الانثناء بمعنى ترتد ، وأو بمعنى إلى ، وثانيها من ثنا الشئ يثنيه ثنيا إذا رده أو أماله

(فاذكرهما وترحّم كلما ذكروا أعاظما ألهوا فى الكون تأليها)

فاذكرهما من الذكر بمعنى التذكر أو من ذكر اللسان بالخير ، وأعاظم كأكابر وزنا ومعنى وصرف للضرورة ، والضمير فى ذكروا يعود إلى الناس المفهوم من المقام وإن لم يتقدم ذكره ، والتأليه التعبيد أي جعل الناس عبيداً وحق ألهوا إذا كان مبنيا للمجهول أن يسند إلى الناس لكنه أسند إلى أعاظم مجازاً عقليا بتحويل الإسناد من الناس إلى أعاظم ، وتحويل الإسناد مما هو له الى غير ما هو له جائز كما فى قولهم سيل مفعَم بفتح العين مع أنه مفعِم بكسرها وكما فى قوله تعالى فى عيشة راضية مع أن العيشة مرضية لاراضية أما إذا قرئ بالبناء للفاعل فإن مفعوله يكون محذوفا وهو الناس ، والمراد من ذكر عمر وعلي كلما ذكر الأعاظم أنهما أولى بالذكر من الأعاظم

عمر وجبلة بن الأيهم

(كم خفت فى الله مضعوفا دعاك به وكم أخفت قويا ينثنى تيها)

كم فى البيت خبرية للتكثير ، وخفت من الخوف ، وفى الله فى رضا الله والمضعوف اسم مفعول من أضعفه جعله ضعيفا على غير قياس إذ القياس مضعف وهو منصوب على نزع الخافض والأصل كم خفت من مضعوف ، ودعاك به الضمير فى به عائد على لفظ الجلالة ، وكم أخفت قويا من الإخافة يريد جعلته يخاف

وينثني تيها يتمايل فى مشيته تكبراً ، والمعنى أن عمر كان يخاف من الضعفاء كثيراً فى سبيل الله وكان يخيف الأقوياء فى سبيل الله تعالى أيضا ، وفى البيت تلميح إلى قول عمر فى خطبة له إن أقوا كم عندي الضعيف حتى أعطيه حقه و إن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فاذا أحسنت فأعينونى و إذا زغت فقومونى

٩ (وفى حديث فتى غسّان موعظة ۝ لكل ذى نُعْرة يأبى تناسيها)

الحديث الخبر ، والموعظه اسم من الوعظ بمعنى الإنذار ، والنُّعرة الكبر وسكن ثانيه للضرورة ، ويأبى تناسيها يمتنع عن نسيانها ، وفتى غسان هو جبلة ابن الأيهم بن أبي شمر آخر ملوك الغسانين . روي أنه عند ماأراد الإسلام أقبل إلى المدينة فى خمسمائة فارس عليهم ثياب الوشي وهو لابس تاجه وفيه قرط مارية (مارية بنت ظالم زوجة الحارث الأكبر الغسانى كان فيه لؤلؤتان عجيبتان) ففرح أمير المؤمنين عمر بإسلامه وفرح المسلمون وخرجوا لتلقيه حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر رضي الله عنه ، و بينا هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل من بنى فزارة فحله فلطمه جبلة فهشم أنفه فاستعدى الفزاري عليه عمر فقال مادعاك ياجبلة إلى أن لطمت أخاك هذا الفزاري فهشمت أنفه فقال إنه وطئ إزارى فحله فقال عمر أما أنت فقد أقررت إما أن ترضيه وإلا أقدته منك قال أتقيده منى وأنا ملك وهو سوقة قال ياجبلة إنه قد جمعك و إياه الإسلام فما تفضله بشئ إلا بالعافية قال والله لقد رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية قال عمر هو كذلك قال أخرنى إلى غد يا أمير المؤمنين قال ذلك لك فلما كان جنح الليل خرج هو وأصحابه فلم يثن حتى دخل القسطنطينية على هرقل فتنصر وأقام عنده . وقيل إن عمر أرسل من يسترضيه فأبى الرجوع وعمر لم يكن يريد بعمله

التنفير من الإسلام وإنما كان يريد الإنصاف والتسوية بين المسلمين دون محاباة وهكذا كان الدين الذي تخلق به عمر رضي الله عنه

٨ (فما القوي قويا رغم عزته عند الخصومة والفاروق قاضيها)

ما نافية حجازية عملت عمل ليس والقوي قويا اسمها وخبرها، ورغم عزته الرغم مصدر بمعنى القهر والعزة الأنفة والأصل في الرغم أن يضاف إلى الشخص وقد أضيف في البيت إلى العزة لأنها تكون السبب في اندفاع الشخص إلى العُدوان وقد ورد في القرآن الإسناد إلى العزة بهذا الاعتبار قال تعالى وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم

٥ (وما الضعيف ضعيفا بعد حجته وإن تخاصم واليها وراعيها)

ما حجازية كالسابقة لها اسمها وخبرها، وبعد حجته أي بعد إقامتها لا يكون ضعيفا بل يكون قويا لأن الوالي وراعي الماشية متساويان في الخصومة أمام عدالة عمر وهو ما وقع في قصة جبلة

عمر وأبو سفيان

(وما أقلت أبا سفيان حين طوى عنك الهدية معتزا بمهديها)

أبو سفيان هو صخر بن حرب الأموي من أشراف قريش وأقلت من الإقالة والمراد به الترك، وطوى عنك الهدية أخفاها، ومعتزاً جعل نفسه عزيزاً ومهديها معاوية بن أبي سفيان الذي تولى الشام عشرين سنة وملك عشرين سنة كان مشهوراً بالحلم والكرم والدهاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم إن ملكت فاعدل والهدية كانت لعمر وقصتها ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال بعث معاوية إلى عمر بن الخطاب وهو على الشام بمال وأدهم (الأدهم القيد) وكتب إلى أبيه

أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر فخرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والأدهم قال فذهب أبو سفيان بالأدهم والكتاب إلى عمر واحتبس المال لنفسه فلما قرأ عمر الكتاب قال فأين المال يا أبا سفيان ؟ قال كان علينا دين ومعونة ولنا فى بيت المال حق فإذا أخرجت لنا شيئا قاضيتنا به فقال عمر اطرحوه فى الأدهم حتى يأتي بالمال قال فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال فأمر عمر باطلاقه من الأدهم قال فلما قدم الرسول على معاوية قال رأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم قال نعم وطرح فيه أباك قال ولم ؟ قال جاءه بالأدهم وحبس المال قال أي والله والخطاب لو كان لطرحه فيه قال حافظ رحمه الله يشير إلى هذه القصة

(لم يغن عنه وقد حاسبته نسب ولا معاوية بالشام يجبيها)

لم يغن عنه لم ينفعه وضمير عنه عائد إلى أبي سفيان ، وقد حاسبته أقمت عليه الحساب وأنكرت عمله والنسب ما يكون من شرف بالنسبة إلى الآباء . ولا معاوية بالشام يجبيها يريد ولم يغن عنه كذلك معاوية صاحب الجاه بولاية الشام وله حق جبايتها أي أخذ خراجها

(قيدت منه جليلا شاب مفرقه فى عزة ليس من عز يدانيها)

قيدت من التقييد وهو وضع القيد فى الرجل ومن تجريدية والضمير عائد إلى أبي سفيان ، وجليلا مفعول قيدت ، ومعنى جليل الشيخ المسن المحنك والمراد به أبو سفيان أيضا فى الكلام تجريد ، والمفرق كمقعد ومجلس وسط الرأس يفرق فيه الشعر والمراد أنه شائب الرأس ، والعز والعزة مصدران لعزَّ بمعنى صار عزيزاً ويدانيها يقاربها

(قد نوهوا باسمه فى جاهليته وزاده سيد الكونين تنويها)

نوهوا باسمه ذكروه تعظيما ، والجاهلية ما قبل الإسلام وسميت بذلك لما كانوا

عليه من الجهل ، وزاده سيد الكونين تنويها تلميح إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من دخل دار أبى سفيان فهو آمن

(فى فتح مكة كانت داره حرما قد أمّن الله بعد البيت غاشيها)

هذا البيت تبيين لما فى البيت السابق من تنويه النبي صـلى الله عليه وسلم باسم أبي سفيان ومعـنى أن دار أبى سفيان كانت حرما أي كالحرم فى تأمين من دخلها ، وغاشيها آتيها

(وكل ذلك لم يشفع لدى عمر فى هفوة لأبى سفيان يأتيها)

يشفع يطلب التجاوز عن المؤاخذة والهفوة الذنب الصغير ويأتيها يرتـكبها

(تالله لو فعل الخطاب فَعلته لما ترخص فيها أو يجازيها)

التاء للقسم وهى مختصة باسم الجلالة والخطّاب أبو عمر والفعلة المرة من الفعل والترخص الأخـذ بالرخصة والمراد به هنا ترك المؤاخذة ، وأو بمعنى إلا ويجازيها يجازى عليها ، وفى البيت إشارة إلى قول معاوية فى القصة السابقة (والخطّاب لو كان لطرحه فيه)

(فلا الحَسابة فى حق يجاملها ولا القرابة فى بطل يحابيها)

الحسابة والحسب بمعنى واحد وهو ما يكون من دين وعمل ومال مأخوذة من الحساب لأن العرب كانوا فى مفاخراتهم يعددون مناقبهم قال الشاعر

ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن له حسب كان اللئيمَ المذمما

ويجاملها ويحابيها بمعـنى والمراد أن عمر لم يكن يجامل أهل الحسب فى حق ولا أقرباءه فى باطل بل كان يقيم العدل بين الناس سواء

(وتلك قوة نفس لو أراد بها شم الجبال لماقرت رواسيها)

يريد بقوة النفس الإرادة ، وشم الجبال من إضافة الصفة للموصوف بمعـنى

الجبال الشم ، والشم جمع أشم بمعنى المرتفع ، وقرت ثبتت ، والرواسى جمع راس بمعنى الرواسخ

عمر وخالد بن الوليد

(هل قاهر الفرس والرومان هل شفعت   له الفتوح وهل أغنى تواليها)

قاهر الفرس والرومان هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أبو سليمان الملقب بسيف الله ولاّه أبو بكر قتال أهل الردة ، وافتتح طائفة من العراق والشام فى خلافة أبي بكر وعمر ، وكانت له القيادة العامة قبل أبى عبيدة بن الجراح وسيأتى بيان ذلك . وهل شفعت له الفتوح يريد ما شفعت ، وهل أغنى تواليها أي ما نفعه تواليها ، والفتوح جمع فتح بمعنى تملك البلاد بالحرب

(غزا فأبلى وخيل الله قد عقدت   باليمن والنصر والبشرى نواصيها)

غزا حارب ، وأبلى اجتهد ، ومنه قولهم أبلى ذلك اليوم بلاء حسنا ، وأضاف الخيل إلى الله لأنها تجرى فى سبيله ونصرة دينه ، وعقدت بمعنى شدت ، والنواصى جمع ناصية وهى الطرة من شعر الرأس ، ويريد بعقد نواصى الخيل باليمن وما عطف عليه تحقق النصر بها ، واليمن البركة والنصر الفوز على العدو ، والبشرى البشارة به

(يرمى الأعادى بآراء مسددة   وبالفوارس قد سالت مذاكيها)

الآراء المسددة الصائبة وكنى بها عن الخطط الحربية ، والفوارس جمع فارس كفرسان ، والمذاكى الخيل التى كملت سناً وقوة واحدها مُذْكٍ ومُذْكٍ ، وسالت جرت ، وضمير مذاكيها عائد على الخيل

(ما واقع الروم إلا فرّ قارحها   ولا رمى الفرس إلا طاش راميها)

مواقع الروم يريد ما حاربها ، والمراد بالروم الرومان الذين كانت لهم سيادة الشام وملكها ، وهم رومان القسطنطينية والقارح الأسد ويريد به الشجاع ولا رمى الفرس يريد رشقهم بالسهام ، والفرس الأمة المعروفة ، وطاش راميها يريد طاش سهم راميها لأن الرامي لا يطيش وإنما هو السهم لا يصيب غرضا

٨ (ولم يجز بلدة إلا سمعت بها   الله أكبر تدوي فى نواحيها)

ولم يجز بلدة أي لم يسلك بلدة ويتجاوزها والمراد فتحها ، إلا سمعت بها الله أكبر كنى بذلك عن إقامة الشعائر الإسلامية التى منها التكبير بالأذان وتدوى من الدوي وهو الصوت وخصصه بعضهم بالرعد ومنه قول عنترة

طرقت ديار كندة وهى تدوى   دويّ الرعد من ركض الجياد

وهذا ما استعاره حافظ رحمه الله مبالغة فى إعلان الأذان

٩ (عشرون موقعة مرت محجلة   من بعد عشر بنان الفتح تحصيها)

عشرون موقعة يريد حربا ، ومرت ذهبت ، ومحجلة مشهورة ، والبنان جمع بنانة يريد بها الأصابع ، والفتح النصر ، وتحصيها تعدها ، وفى البيت تشبيه الفتح بالإنسان ، والعشرون والعشر إشارة إلى كثرة حروب خالد ، فقد روي أنه قال عند موته لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى جسمى موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية وها أنا أموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء [العير الحمار] أي أنه يأسف لموته على فراشه وأنه لم يمت فى حرب

١٠ (وخالد فى سبيل الله موقدها   وخالد فى سبيل الله صاليها)

موقدها مشعل نارها ، وفى سبيل الله أي فى نصرة دينه ، وصاليها مقاسى حرها وشدتها ، وفى البيت تشبيه الحرب بالنار

١١ (أتاه أمر أبي حفص فقبّله   كما يقبل آي الله تاليها)

أتاه أمر أبي حفص أمر عمر بعزله ، فقبله بريد احترمه وأطاعه ، وآي الله آيات كتابه

٩ (واستقبل العزل فى إبّان سطوته ومجده مستريح النفس هاديها)

واستقبل العزل بريد قبله بغير إعراض ، والعزل طلب التنحى عن المنصب وفى إبان سطوته أي فى وقت كمالها . والمجد هو الشرف والرفعة ، ومستريح النفس وهاديها سا كنها من هدا بالالف بدلا من هدأ بالهمزة قال الشاعر

إن السباع لتهدا عن فرائسها والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا

روى ابن الأثير الجزرى فى وقائع سنة ١٣ أن أول ماتكلم به عمر (فى أول خلافته) عزل خالد وقال لا يلى لى عملا أبداً وكتب إلى أبى عبيدة إنْ أكذب خالد نفسه فهو الأمير على ما كان عليه وإن لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ماهو عليه وانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله فذكر ذلك لخالد فاستشار أخته فاطمة وكانت عند الحارث بن هشام فقالت له والله لايحبك عمر أبداً وما يريد إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك فقبل رأسها وقال صدقت فأبى أن يكذب نفسه فأمر أبو عبيدة فنزع عمامة خالد وقاسمه ماله ومن رواية لابن جرير الطبري عن ابن اسحاق قال إنما نزع عمر خالداً فى كلام كان خالد تكلم به فيما يزعمون ولم يزل عمر ساخطا عليه ولأمره كارها فى زمان أبى بكر كله وذكر مثل ما فى رواية ابن الأثير وبقي خالد بعد عزله بالشام يعمل مع جيوش المسلمين ويعاون أبا عبيدة فى الرأي والفتح حتى فتح قنسرين فكان أميراً عليها من قبل أبى عبيدة لامن قبل عمر

وذكر ابن حجر فى الإصابة أن سبب عزل عمر خالداً ما ذكره الزبير بن بكار قال كان خالد إذا صار إليه المال قسمه فى أهل الغنائم ولم يرفع إلى أبى بكر

حسابا وكان فيه تقدم على أبى بكر يفعل أشياء لا يراها أبو بكر ، أقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته فكره ذلك أبو بكر وعرض الدية على متمم بن نويرة وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد

ثم قال الزبير وحدثنى خالد بن مسلم عن مالك بن أنس قال قال عمر لأبى بكر اكتب إلى خالد لا يعطى شيئا إلا بأمرك فكتب إليه بذلك فأجابه خالد إما أن تدعنى وعملى وإلا فشأنك بعملك فأشار عليه عمر بعزله فقال أبو بكر فمن يجزئ جزاء خالد قال عمر أنا قال فأنت فتجهز عمر حتى أنيخ الظهر فى الدار فمشى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر فقالوا ماشأن عمر يخرج وأنت محتاج إليه وما بالك عزلت خالداً وقد كفاك قال فما أصنع قالوا تعزم على عمر فيقيم وتكتب إلى خالد فيقيم على عمله فلما قبل عمر [البيعة] كتب إلى خالد أن لا تعطي شاة ولا بعيراً إلا بأمرى فكتب إليه خالد بمثل ما كتب إلى أبى بكر فقال عمر ما صدقتُ الله أن كنتُ أشرت على أبى بكر بأمر فلم أنفذه فعزله

وروى ابن جرير الطبري عن رواة ذكرهم فى وقائع سنة ١٧ قالوا لما أدرب (دخل بلاد العدو) خالد وعياض فسارا فأصابا أموالا عظيمة ولما قفل خالد وبلغ الناس ما أصابه من تلك الصائفة (الغزوة فى الصيف) انتجعه رجال فانتجع خالداً رجال من أهل الآفاق فكان الأشعث بن قيس ممن انتجع خالداً بقنسرين فأجازه بعشرة آلاف وكان عمر لا يخفى عليه شئ فى عمله كتب اليه من العراق بخروج من خرج من الشام وبجائزة من أجيز فدعا البريد (رسول البريد) وكتب معه إلى أبى عبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمهم من أين إجازة الأشعث أمن ماله أم من إصابة أصابها يعنى من المغنم فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف واعزله على

كل حال واضمم إليك عمله فكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر فقام البريد فقال أمن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة فلم يجبه حتى أكثر عليه وأبو عبيدة ساكت لايقول شيئا فقام بلال (مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال ما تقول أمن مالك أم من إصابة قال لا بل من مالى فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا (أسيادنا) وأقام خالد متحيرا لايعلم أمعزول أم غير معزول وجعل أبو عبيدة لا يخبره حتى إذا طال على عمر أن يقدم ظن الذى قد كان فكتب إليه بالإقبال فأتى خالد أبا عبيدة فقال رحمك الله ما أردت إلى ماصنعت كتمتنى أمراً كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم فقال أبو عبيدة إنى والله ما كنت لأروعك ماوجدت لذلك بداً وقد علمت أن ذلك يروعك ثم إن خالدا رجع إلى قنسرين نخطب أهل عمله وودعهم وتحمل ثم أقبل على حمص نخطبهم وودعهم ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه (تظلم إليه) وقال لقد شكوتك إلى المسلمين وبالله إنك فى أمري غير مجمل ياعمر (غير متئد) فقال عمر من أين هذا الثري ؟ قال من الأنفال (جمع نفَل ماجعله الإمام إلى الجند مما غنموه) والسُّهمان (جمع سهم) مازاد على الستين ألفا فلك فقوم عمر عروضه (العروض جمع عَرض بمعنى المتاع) فخرجت له عشرون ألفا فأدخلها بيت المال ثم قال ياخالد إنك علي لكريم وإنك إلي لحبيب ولن تعاتبنى بعد اليوم على شيء

وروى ابن جرير عن عدي بن سهيل قال كتب عمر إلى الأمصار إنى لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه (يعتمدوا عليه) ويبتلوا به (يفتنوا به) فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع

وأن لا يكونوا بعرض فتنة (بطريق فتنة)

قال حافظ رحمه الله

(فاعجب لسيد مخزوم وفارسها   يوم النزال إذا نادى مناديها)

فاعجب أمر من عجب كطرب، والسيد من انتهى إليه الشرف فى قومه، ومخزوم الجد الأعلى لخالد أطلقه على القبيلة المنسوبة إليه ، والنزال القتال إذا كان منازلة ينزل الفارس فى مقابلة فارس ، والضمير فى مناديها عائد إلى النزال بمعنى الحرب والحرب مؤنث

(يقوده حبشي فى عمامته   ولا تحرك مخزوم عواليها)

يقوده حبشي هو بلال الحبشي مولى أبى بكر الصديق رضي الله عنه السابق فى الرواية ، ولا تحرك مخزوم عواليها أي لا تهب لنصرته ، والعوالى أطراف الرماح

(ألقى القياد إلى الجراح ممتثلا   وعزة النفس لم تجرح حواشيها)

ألقى القياد إلى الجراح يريد أنه أذعن وأطاع ، والجراح أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح الفهري الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أبو عبيدة أمين هذه الأمة فهو منسوب فى البيت إلى جده ، والحواشى الجوانب أطلقها وأراد عزة النفس

(وانضم للجند يمشى تحت رايته   وبالحياة إذا مالت يفديها)

يشير إلى أن خالداً بعد عزله لم يقعد عن العمل فى جيش المسلمين بل عمل فيه متطوعا فقد حضر معظم فتوح الشام وكان المسلمون يستمدون رأيه فى الوقائع ويقدمونه ساعة الخطر على أمرائهم حتى كان أبو عبيدة يوليه الجيوش ولما فتح قنسرين وانتهى الخبر إلى عمر رضي الله عنه قال أمّر خالد نفسه رحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى

٩ (وما عرته شكوك فى خليفته   ولا ارتضى إمرة الجراح تمويها)

الشك ضد اليقين ، وما عرته أي ما عرضت له يريد أنه لم يرتب فى عدالة عمر والإمرة الإمارة ، والتمويه التلبيس بغير الواقع فى النفس والمراد أن رضا خالد بإمرة أبى عبيدة كان قلبيا لا ظاهريا فقط

(فخالد كان يدري أن صاحبه   قد وجه النفس نحو الله توجيها)

هذا البيت والأبيات بعده تعليل لما فى البيت السابق ، وصاحبه عمر لأن الصاحب يضاف إلى السائس كصاحب الأمير وإلى المسوس كصاحب الجيش وتوجيه النفس لله بمعنى إخلاص النية والقصد

(فما يعالج من قول ولا عمل   إلا أراد به للناس ترفيها)

الضمير فى يعالج عائد إلى عمر وكذا فيما بعده ، ويعالج يزاول ، والترفيه جعل الناس رفهاء بالتنفيس عنهم والتوسعة عليهم وإراحتهم

(لذاك أوصى بأولاده عمرا   لما دعاه إلى الفردس داعيها)

لذاك اسم الإشارة يعود إلى إرادة عمر الخير المفهومة من البيتين قبله ، وأوصى بمعنى عهد . روي أن خالدا قبل وفاته أوصى إلى عمر بأولاده وحبس فرسه وسلاحه فى سبيل الله ، والداعى إلى الفردوس هو الله عز وجل قال تعالى والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه

(وما نهى عمر فى يوم مصرعه   نساء بنى مخزوم أن تبكى بواكيها)

الضمير فى مصرعه عائد إلى خالد ويريد بمصرعه موته والبواكى جمع باكية روي أن نساء بنى المغيرة بن مخزوم يوم موت خالد اجتمعن يبكين عليه فلما بلغ ذلك عمر قال ما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة (النقع الصوت واللقلقة شدته فى حركة واضطراب) وروي أنه لم يبق امرأة من بنى المغيرة إلا

جزت لمتها وحلقت رأسها حزنا عليه

(وقيل خالفت يافاروق صاحبنا فيه وقد كان أعطى القوس باريها)

المراد بالصاحب أبو بكر رضي الله عنه ، وضمير فيه عائد إلى خالد ، وأعطى القوس باريها تضمين من قول الشاعر

ياباري القوس بريا لست تحسنه لاتفسدنه وأعطِ القوس باريها

والنصب على ياء باريها مقدر لئلا يغير المثل أو للضرورة ، والإشارة إلى أن عمر عزل من ولاّه أبو بكر مع أنه جدير بالتولية

(فقال خفت افتتان المسلمين به وفتنة النفس أعيت من يداويها)

البيت جواب القيل السابق وتعليل لما توهموه من المخالفة وفيه إشارة إلى قول عمر ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا اليه ويبتلوا به

(هبوه أخطأ فى تأويل مقصده وأنها سقطة فى عين ناعيها)

هبوه الضمير عائد إلى عمر، وناعيها عائبها . كان الناس يتظنون فى سبب عزل خالد حتى دفعت الجرأة بعض قرابة خالد أن يتهم عمر بالحسد له فقد روى ابن الجوزي أن عمر قال فى خطبة خطبها يوم الجابية (و إنى أعتذر إليكم من خالدبن الوليد فإنى أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطى ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان فنزعته وأمرت أباعبيدة بن الجراح) فقام أبو عمرو بن حفص ابن المغيرة فقال والله ما أعذرت ياعمر ولقد نزعت غلاما استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم و وضعت أمرا نصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت رحما وحسدت بنى العم فقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إنك قريب القرابة حديث السن تغضب فى ابن عمك

ولقد ظن آخرون أن سبب عزل خالد كان شيئا من الحقد فى نفس عمر على

خالد لقتله مالك بن نويرة وخبر ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه عند ماعقد لخالد لقتال أهل الردة قصد خالد ومن معه البطاح فيما قصد لقتال مالك أحد رؤس بنى تميم وكانوا جميعا قدموا بالزكاة على أبى بكر إلا مالكا فإنه بقي متحيرا فى الردة يقدم رجلا ويؤخر أخرى فلما وصل خالد بلاد القوم أمر من معه كما أمره أبو بكر أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلا فإن أذن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم الزكاة فإن أقروا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم ولما بث خالد السّرايا جاءته الخيل بمالك فى نفر من ثعلبة بن يربوع فاختلفت السّرية فيهم وكان فيهم أبو قتادة (لعله الأنصاري السلمي الملقب بفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم) فكان ممن شهد أنهم أذنوا فلما اختلفوا أمر بهم خالد فحبسوا فى ليلة باردة فأمر خالد مناديا فنادى دافئوا أسراكم وهى فى لغة كنانة اقتلوا فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد الدفء فقتلوهم فقتل ضرار بن الأزور مالكا وسمع خالد الواعية (الصوت) فخرج وقد فرغوا منهم فقال إذا أراد الله أمرا أصابه وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك

ولما انتهى الخبر إلى أبى بكر وعمر رضي الله عنهما رغب عمر إلى أبى بكر أن يستدعي خالدا ويقتص منه وكان عمر رضي الله عنه شديدا يحب التعجيل فى العقوبة وأبو بكر يحب الأناة وعدم التعجيل فيها ولما ألح عمر على أبى بكر فى شأن خالد قال ياعمر تأول خالد فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فإنى لا أشيم (لا أغمد) سيفا سله الله على الكافرين وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز فى عمامته أسهما فقام عمر فنزعها وحطمها وأسمعه كلاما أليما فلم يكلمه خالد ودخل على أبى بكر وأخبره بجلية الخبر واعتذر إليه فقبل عذره وودى مالكا من بيت مال المسلمين . ولقد رأيت فى بعض الكتب أن عمر رضي الله عنه استنشد

يوما متمما بن نويرة اليربوعي أخا مالك قصيدته التى رثى بها أخاه وهى التى يقول فيها

وكنا كندماني جذيمة حقبة — من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا — لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر رحم الله زيداً أخي هاجر قبلي واستشهد قبلي ما هبت الصبا إلا بكيت عليه ووددت أنى أحسن الشعر فأرثى أخى بمثل مارثيت به أخاك فقال متمم لو أن أخى مات على مامات عليه أخوك لما رثيته فقال عمر مارأيت تعزية أحسن من هذه وخف عليه الحال بعد ومن هذا الخبر تتبين معذرة خالد رحمه الله وعلى الجملة فإن عمر لم يحسد خالداً ولم يحقد عليه وإنما هي مصلحة المسلمين رآها فى الحادثتين

ولنعد الى حافظ فانه جارى المخطئين لعمر فى عزل خالد باسلوب حكيم يريد به خلاف الظاهر منه

(فلن تعيب حصيف الرأى زلته — حتى يعيب سيوف الهند نابيها)

يعتذر عما فرضه زلة فى تأويل مقصد عمر رضي الله عنه ، والحصيف ذو العقل والتدبير ، والزّلة المرة من الزَّلل بمعنى الخطأ فى التقدير ، وسيوف الهند مشهورة بالمضاء ، ونابيها مايرتد عن الضريبة ، يريد أن الخطأ مرة لا يعيب ذا الرأي السديد كما أن سيوف الهند إذ ارتد منها واحد عن الضريبة لا يعيبها هذا الواحد

(تالله لم يتبع فى ابن الوليد هوى — ولا شفى غلة فى الصدر يطويها)

الضمير المستتر فى لم يتبع عائد إلى عمر ، والبيت تصريح بما هو أولى بالقصد من كلام حافظ رحمه الله ، والهوى إرادة النفس المذمومة ، والغلة شدة العطش استعارها لتدل على الحقد يطويه الصدر

(لـكنه قد رأى رأياً فأتبعه عزيمة منه لم تثلم مواضيها)

الرأي ما ارتآه الإنسان واعتقده ، والعزيمة الإرادة المؤكدة ، والمواضي السيوف استعارها للعزيمة ، ولم تثلم من ثَلَمَ فلان السيف بمعنى كسر حده

(لم يرع فى طاعة المولى خؤولته ولا رعى غـيرها فيما ينافيها)

لم يرع من رعاه كراعاه بمعنى لاحظه وأحسن إليه ، والضمير عائد الى عمر والخؤولة القرابة المنسوبة الى الخال ، وخالد من خؤولة عمر لأن أم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومي ، والمراد بغير الخؤولة ، ما عداها من أنواع العلاقات والطاعة ما يطاع به الله من فعل واجب أو ترك منهي عنه ، والمراد بما ينافى الطاعة ارتـكاب المعصية ، والمعنى أن عمر لم يحاب خؤولته فيما يجب أن يطاع الله به بمعنى أنه لو قصر واحـد منها فى شيء من ذلك ماتركه وشأنه ، كما أنه لو ارتكب أحد من غير الخؤولة معصية ما تركه كذلك بل أخذه بعقوبتها ، وهذا ما فعله مع خالد ومع غيره قال البوصيرى رحمه الله يشير إلى هذه السجية فى عمر

والذى تقرب الأباعد فى الله إليه وتبعـد القـــرباء

عمر بن الخطاب من قوله الفصـ ـل ومن حكمه السَّوي السَّواء

ومما يكشف عن هذه السجية فى عمر ماذكره ابن الجوزي عن سلام قال سمعت الحسن رحمـه الله يقول جيء إلى عمر بمال فبلغ ذلك حفصـة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت ياعمر يا أمير المؤمنين حق أقاربك من هذا المال قد أوصى الله عز وجل إليك بالأقربين فقال لها يابنية حق أقربائى فى مالى وأما هذا ففيء المسلمين غششت أباك ونصحت أقرباءك قومى فقامت والله تجر ذيلها

(وما أصاب ابنه والسوط يأخذه لديه من رأفة فى الحد يبديها)

أصاب من الإصابة بمعنى أدرك ، وابنه مفعول مقدم ، ومن رأفة من زائدة

ورأفة فاعل أصاب على حد قوله تعالى (ماجاءنا من بشير ولا نذير) والسوط يأخذه جملة حالية من المفعول ، وضمير لديه عائد إلى عمر ، والمراد بابنه ابنه عبد الرحمن المكنى بأبي شحمة ، ويبديها يظهرها ، والحد العقوبة الشرعية على الشرب وهي ثمانون سوطا للحر

وخبر حد ابن عمر ، مروي من طرق مختلفة ذكر ابن الجوزي منها روايتين ففي رواية منهما عن عبد الله بن عمر قال شرب عبد الرحمن بن عمر وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث ونحن في مصر في خلافة عمر رضوان الله عليه فسكرا فلما أصبحا انطلقا الى عمرو بن العاص قال قال فذكر لي أخي أنه سكر فقلت له ادخل الدار أطهرك فأذنني (أعلمني) أنه قد حدث الأمير قال عبد الله بن عمر فقلت والله لا يحلق اليوم على رؤوس الأشهاد ادخل أحلقك وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد فدخل معي الدار قال عبد الله فحلقت أخي بيدي ثم جلدهما عمرو ابن العاص فسمع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فكتب إلى عمرو أن ابعث إلي بعبد الرحمن بن عمر على قتب (القتب البرذعة) ففعل ذلك عمرو فلما قدم عبد الرحمن على عمر جلده وعاقبه من أجل مكانه منه ثم أرسله (أطلقه) فلبث شهراً صحيحاً ثم أصابه قدره فتحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ولم يمت من جلده قال ابن الجوزي قلت لا ينبغي أن يظن بعبد الرحمن بن عمر أنه شرب الخمر وإنما شرب النبيذ متأولا يظن أن الشرب منه لا يسكر وكذلك أبو سروعة وأبو سروعة من أهل بدر فلما خرج بهما الأمر إلى السكر طلبا التطهير بالحد وقد كان يكفيهما مجرد الندم على التفريط غير أنهما غضبا لله سبحانه وتعالى على أنفسهما المفرطة فأسلماها إلى إقامة الحد وأما كون عمر أقام الحد على ولده فليس ذلك حدا وإنما ضربه غضبا وتأديبا وإلا فالحد لا يكرر وقال ابن تيمية في تفسير سورة

النور عند قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين أي الجلد إن الطائفة ثلاثة أو أربعة عدد شهود الزنا وذكر ملخص القصة وقال إن عمرو بن العاص جلد عبد الرحمن بن عمر الحد سرا (وهذا ما ورد فى الرواية الأخرى) وكان الناس يجلدون علانية فبعث عمر بن الخطاب ينكر عليه ذلك ولم يعتد عمر بذلك الجلد حتى أرسل إلى ابنه فأقدمه المدينة فجلده الحد علانية ولم ير سقوط الحد بالجلد الأول وعاش ابنه مدة ثم مرض ومات لا بسبب الحد

(إن الذى برأ الفاروق نزهه عن النقائص والأغراض تنزيها)

برأ كقطع بمعنى خلق ، ونزهه عن النقائص أبعده والمراد طهره ، والنقائص جمع نقيصه بمعنى العيب ، والأغراض جمع غرض يريد البغية التى لا تمدح

(فذاك خلق من الفردوس طينته الله أودع فيها ماينقيها)

اسم الإشارة عائد إلى عمر ، والخلق بمعنى المخلوق ، والفردوس الجنة ، والطينة المادة التى خلق منها ، والمراد بما أودع فيها الصفات الكاملة ، ومايفقيها من التنقية يريد به ما يطهرها

(لا الكبر يسكنها لا الظلم يصحبها لا الحقد يعرفها لا الحرص يغويها

هذه جمل منفية ساقها على سبيل التعديد من دون عطف ، ويريد بالكبر العظمة ، وبالظلم انتقاص حق الغير ، وبالحقد طي العداوة فى القلب مع التربص للاضرار بالغير ، وبالحرص الرغبة فى الشيء والمبالغة فى تحصيله ، ويغويها من الإغواء بمعنى يضلها ، والضمائر الظاهرة كلها عائدة على طينته

عمر وعمرو بن العاص

(شاطرت داهية السواس ثروته ولم تخفه بمصر وهو واليها)

شاطرت أخذت الشطر ، وهو النصف ، والسواس من يسوسون الناس وداهيتهم أجودهم رأيا ومكيدة ، والمراد به عمرو بن العاص بن وائل السهمي من أشهر قواد المسلمين فتح مصر وبَرْقة واشترك فى غيرهما من الفتوح وكان واليا على مصر ومات فيها ودفن فى المقطم وكانت له أموال كثيرة

٨ (وأنت تعرف عمرا فى حواضرها ولست تجهل عمرا فى بواديها)

الحواضر جمع حاضرة وهى المدن، والبوادي خلافها والمراد أن عمر يعرف عمرا فى قربه وبعده

٨ لم تنبت الأرض كابن العاص داهية يرمى الخطوب برأي ليس يخطيها

أسند الإنبات إلى الأرض ولعله لمح إلى قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتاً ، ومفعول تنبت كاف التشبيه بمعنى مثل أو أن المفعول محذوف تقديره رجلا والمراد أنه لم يولد مثله فى الدهاء ، والعاص أبو عمرو ، والخطوب جمع خطب ويخطيها يريد يخطئها أو أنه من أخطى غير مهموز وهو قليل

٨ (فلم يرغ حيلة فيما أمرت به وقام عمرو إلى الأجمال يزجيها)

فلم يرغ من الروغان يريد أنه لم يحد هكذا وهكذا احتيالا ومكراً بل خضع وقام عمرو إلى الأجمال يزجيها بمعنى يسوقها أي يسوق جمالها ، والأجمال جمع حمل

وخبر مشاطرة عمر عمرا مروي فى التواريخ وملخصه على ما رواه البلاذري عن عبد الله بن المبارك قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب أموال عماله إذا ولاهم ثم يقاسمهم مازاد على ذلك وربما أخذه منهم وكان قد نمى إليه أن عمرو ابن العاص وهو وال على مصر قد توسع فى دنياه وكثرت أمواله فكتب إليه، إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم يكن حين وليت مصر فكتب إليه عمرو إن أرضنا مزدرع ومتجر فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه

النفقتنا فكتب إليه عمر إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى وكتابك إلي كتاب من أقلقه الأخذ بالحق وقد سوءت بك ظنا وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك فأطلعه طلعه وأخرج إليه ما يطالبك وأعفه من الغلظة عليك فإنه برح الخفاء فقاسمه محمد بن مسلمة ماله ومحمد بن مسلمة هو الأنصاري الحارثي من أتقى الصحابة كان يثق به عمر في مصادرة العمال وتحقيق ما يتهمون به

(ولم تقل عاملا منها وقد كثرت   أمواله وفشا في الأرض فاشيها)

الخطاب إلى عمر، وتقل من الإقالة والمراد تترك، والعامل من يتولى أعمال الدولة، وفشا بمعنى انتشر ومنه الفاشية لأن أكثر أموال العرب الماشية والرقيق وهي فاشية، وفي البيت إشارة إلى مشاطرات عمر لجميع عماله سئل مالك بن أنس من أين شاطر عمر بن الخطاب عماله فقال أموال كثيرة ظهرت عليهم وإن شاعراً كتب إليه يقول:

نحج إذا حجوا ونغزوا إذا غزوا   فأنى لهم وفر ولسنا بذي وفر
إذا التاجر الهندي جاء بفارة   من المسك راحت في مفارقهم تجري
فدونك مال الله حيث وجدته   سيرضون إن شاطرتهم منك بالشطر

عمر وولده عبد الله

(وما وقى ابنك عبد الله أينقه   لما اطلعت عليها في مراعيها)

وقى من الوقاية بمعنى الحفظ، والأينق جمع ناقة، وعبد الله أكبر أولاد عمر وقد مر ذكره، وخبر أينقه مروي عنه ذكره ابن الجوزي قال اشتريت إبلا ورجعتها إلى الحمى فلما سمنت قال فدخل عمر رضوان الله عليه السوق فرأى إبلا سمانا فقال لمن هذه الإبل السمينة فقيل لعبد الله بن عمر فجعل يقول يا عبد الله بن

عمر بخ بخ ابن أمـير المؤمنين قال فجعلت أسعى فقلت مالك يا أمير المؤمنين قال ماهذه الإبل فقلت إبل اشتريتها و بعثت بها إلى الحمى أبتغى ما يبتغى المسلمون قال يقال ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين واسقوا إبل ابن أمير المؤمنين يا عبد الله اغد على رأس مالك واجعل باقيه فى بيت مال المسلمين

(رأيتهـا فى حماه وهى سارحة مثل القصور قد اهتزت أعاليها)

الحمى مكان الـكلأ يحمى عن الناس ، والمفهوم من قول حافظ أن عمر رأى الإبل فى الحمى والمراعى ، والمفهوم من الرواية أنه رآها فى السوق ، ولعل السوق كان فى الحمى ، أو أن هناك رواية لم أطلع عليها ، وسارحة من سرحت الماشية بمعنى رعت فى الصباح ، ومثـل القصور تشبيه لها بالقصور فى الارتفاع والضخامة واهتزت أعاليها يريد أسنمتها

(فقلت ماكان عبد الله يشبعها لولم يكن ولدى أو كان يرويها)

يشبعها يطعمها إلى حد الشبع ، ويرويها يسقيها من أروى كروى بمعنى سقى ، وما كان عبد الله والبيتان بعده مقول قلت

(قد استعان بجاهى فى تجارته وبات باسم أبى حفص ينميها)

استعان بجاهى اتخذ منه عونا ، والجاه المنزلة التى كانت لعمر باعتباره خليفة المسلمين : وينميها يجعلها نامية

(ردوا النياق لبيت المـال إن له حق الزيادة فيها قبل شاريهـا)

ردوا النياق لبيت المال يريد حبسها حتى يستوفي ما لبيت المال ، والمراد بالزيادة مازاد على رأس المال فقد اعتبره ناتجا من الاستعانة بجاه خليفة المسلمين فهو حقهم وشاريها بمعنى مالكها

(وهذه خطة لله واضعها ردت حقوقا وأغنت مستميحيها)

الخطة الأمر يدبره الرجل ويقوم بتنفيذه ، ولله واضعها جملة معترضة قصد بها مدح عمر ، وردت حقوقا جملة الصفة لخطة ، وأغنت مستميحيها عطف على جملة ردت والمراد منها أنها كفت طلاب الحقوق من بيت المال

(ما الاشتراكية المنشود جانبها بين الورى غير مبنىّ من مبانيها)

الاشتراكية نسبة إلى الاشتراك يراد بها إشتراك الناس فى الحقوق يشير بها إلى المذهب الجديد الذى نشأ فى بعض البلاد ، والمنشود جانبها بمعنى المبحوث عنها وأطلق الجانب وأراد نفس الاشتراكية ، والمبانى جمع مبنى ، والضمير فى مبانيها عائد على خطة فى البيت قبله

(فإن نكن نحن أهليها ومنبتها فإنهم عرفوها قبل أهليها)

نحن ضمير ظاهر مؤكد للضمير المستتر فى نكن وهو عائد على المسلمين الأولين ، ومنبتها بكسر الباء موضع نبتها ، وضمير إنهم عائد إلى دعاة الاشتراكية من الأمم القائمة عليها الآن ، والمراد بأهليها فى آخر البيت المعاصرون من المسلمين والمعنى أن المسلمين الأولين كانوا منشأ الاشتراكية وقد عرفها القائمون بها الآن قبل المسلمين المعاصرين ولا أظن أن حافظا رحمه الله كان يقصد أن اشتراكية اليوم هى بذاتها التى كانت عند المسلمين الأولين لأن هذه الاشتراكية ترمى إلى تغيير نظام المجتمع البشري بادماج وسائل الانتاج فى نظام مشترك وعودة الملكية الفردية إلى مجموع الأفراد وتوزيع العمل العام وحاجات الاستهلاك بين الجميع وليست هذه الاشتراكية معروفة فى الإسلام لأن الإسلام يحتفظ بالملكية الفردية لأصحابها ويجعل المسلمين عامة مشتركين فيما آل إلى بيت المال على نحو ما يفهم من قول عمر رضي الله عنه : ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، و والله مامن المسلمين من أحد إلا وله فى هذا المال نصيب إلا عبداً مملوكا

ولكننا على منازلنا من كتاب الله تعالى وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل و بلاؤه فى الإسلام ، والرجل وقدمه فى الإسلام ، والرجل وغناؤه فى الإسلام والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه ، وما مثلى ومثل هؤلاء إلا كقوم سافروا فدفعوا نفقتهم إلى رجل منهم فقالوا أنفق علينا فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء ، قالوا لا يا أمير المؤمنين ، قال فكذلك مثلى ومثلهم

عمر ونصر بن حجاج

(جنى الجمال على نصر فغربه عن المدينة تبكيه ويبكيها)

جنى الجمال على نصر فغربه يريد جر إليه التغريب ، وتبكيه المدينة أي يبكيه أهلها ، ويبكيها هو لأنها وطنه ، وخبر نصر المذكور ذكره ابن الجوزي عن عبد الله بن بريدة قال إن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه خرج يعس المدينة (يطوف بالليل ليكشف عن أهل الريبة) فإذا هو بنسوة يتحدثن فإذا هن يقلن أي أهل المدينة أصبح فقالت امرأة يقال أبو ذئب (كنية نصر) فلما أصبح سأل عنه فإذا هو من بنى سليم فأرسل إليه فإذا هو من أصبح الناس فلما نظر عمر إليه قال أنت والله ذيبهن مرتين أو ثلاثا لا والذى نفسى بيده لا تجامعنى بأرض أنا بها قال له إن كنت لابد مسيرى فسيرنى حيث سيرت ابن عمى فأمر له بما يصلح وسيره إلى البصرة

وفى رواية أخرى إن عمر قال على بالحجام فجز شعره فخرجت له وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال اعتم فاعتم (الاعتمام لبس العمامة) فأفتن الناس (يريد فكان أفتن الناس) فقال له لا تساكنى فى بلد أنا فيه وسيره إلى البصرة

وروي أنه لما طال مكثه بالبصرة خرجت أمه يوما بين الأذان والإقامة معترضة لعمر فإذا عمر قد خرج فى إزار ورداء بيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله عز وجل وليحاسبنك الله تعالى، يبيت عبد الله إلى جنبك وعاصم وبينى وبين ابنى الجبال والفيافى والأودية، فقال عمر إن ابنيّ لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن (العواتق جمع عاتق الجارية فى أول إدراكها) وعبد الله بن بريدة هو الأسلمي قاضى مرو موثق من التابعين

(وكم رمت قسمات الحسن صاحبها وأتعبت قصبات السبق حاويها)

وكم رمت اتَّهمت والمراد أوقعته فى تهمة، وقسمات الحسن جمع قسَمَة والمراد بها كل ماله جمال من أجزاء الوجه، وقصبات السبق جمع قصبة والأصل فيها أن العرب كانوا فى مسابقاتهم ينصبون فى الميدان قصبة يتسابقون إليها فمن سبق اقتلعها ليعلم أنه السابق ثم استعملت فى أغراض المبرزين فى أي شيء، وحاويها من حوى الشيء أحرزه، والمعنى كم يتهم صاحب الجمال بسبب جماله وكم يتعب السابق بحسد الأقران له

(وزهرة الروض لولا حسن رونقها لما استطالت عليها كف جانيها)

الزهرة والروض معروفان، والرونق إشراق الحسن، واستطالت عليها بمعنى تطاولت عليها والمراد اعتدت، وجانيها متناولها وفى جانيها تورية

(كانت له لمة فينانة عجب على جبين خليق أن يحليها)

اللِّمة الشعر الذى يتجاوز شحمة الأذنين، وفينانة مؤنث فينان والمراد أنها طويلة حسنة، وعجب بمعنى يتعجب منها لروعتها، والجبين ما فوق الصدغ وللانسان جبينان عن يمين الجبهة وعن شمالها، وخليق بمعنى جدير، ويحليها يجعلها حلوة فى نظر العين أو أنه حلية لها

(وكان أنّى مشى مالت عقائلها   شوقا إليه وكاد الحسن يسبيها)

أنى بمعنى أين ، والعقائل جمع عقيلة يريد المخدرة ، ومالت إليه شوقا أحبته ورغبت لقاءه ، ويسبيها يريد بأسر قلوبهن ، وأسر القلوب أقصى الحب وضمير عقائلها عائد على المدينة فى البيت الأول

(هتفن تحت الليالى باسمه شغفا   وللحسان تمنّ فى لياليها)

هتفن باسمه يريد ذكرنه بجماله ، وتحت الليالى فى الليالى ، والتمنى توقع الإنسان ما يحب

(جزت لمته لما أتيت به   ففاق عاطلها فى الحسن حاليها)

جز اللمة حلقها ، والعاطل المجرد من الحلية ، والحالى المتحلى بها ، والمراد أنه بعد أن حلقت لمته صار أحسن منه بها

(فصحت فيه تحول عن مدينتهم   فإنها فتنة أخشى تماديها)

ذكّر الضمير فى مدينتهم لعوده على أهلها المقدر فى تبكيه فى البيت الأول وجملة تحول مقول مرادف القول وهو صحت ، وضمير فإنها ضمير الشأن والقصة وأخشى تماديها أخاف دوامها

(وفتنة الحسن إن هبت نوافحها   كفتنة الحرب إن هبت سوافيها)

الفتنة اثنتان فتنة الحسن وفتنة الحرب ، ويقال للأولى فتنة السراء وللثانية فتنة الضراء ، وفى حديث للنبي صلى الله عليه وسلم أصابتكم فتنة الضراء فصبرتم وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة السراء من قبل النساء إذا تسورن الذهب ولبسن مرط الشام وعصب اليمن وأتعبن الغنيّ وكلفن الفقير ما لم يجد ، والنوافح جمع نافحة من نفح الطيب اذا هبت رائحته ، والسوافى جمع سافية الريح تحمل التراب وتسفيه

عمر ورسول كسرى

(وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا بين الرعية عطلا وهو راعيها)

راعه من الروع بمعنى أعجبه ، وصاحب كسرى من إضافة التابع إلى المتبوع يريد أميرا من أمرائه ، وعطلا بمعنى غير متحل بأبهة الملك ، وهو راعيها يريد خليفتها

ذكر ابن جرير الطبري عن رواته أن أبا سبرة (بن أبي رهم بعد أن فتح مدائن رامهرمز والسوس وتستر وأسر الهرمزان فى فتح فارس) أوفد وفدا فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس وأرسل الهرمزان معهم حتى إذا دخلوا المدينة خرجوا به على الناس فى زينته يريدون عمر فى منزله فلم يجدوه فقيل لهم فى المسجد فانطلقوا يطلبونه وكان عمر قد جلس لوفد من أهل الكوفة فى برنس فلما فرغ منهم نزع برنسه ثم توسده فنام فقال الهرمزان أين عمر فقالوا هو ذا وجعل الوفد يشير إلى الناس أن اسكتوا عنه وأصغى الهرمزان إلى الوفد فقال أين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً فقال الوفد هذا ملك الأهواز فكلمه ، فقال عمر (بواسطة المترجم) هيه ياهرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ثم قال عمر ما عذرك وما حجتك فى انتقاضك مرة بعد مرة فقال أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك قال لا تخف واستسقى ماء فأتي به فجعلت يده ترجف وقال إنى أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه (يريد أراقه) فقال عمر أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش فقال لا حاجة لى بالماء أنا أردت أن أستأمن به فقال له عمر إنى قاتلك قال قد أمنتنى فقال كذبت فقال أنس صدق

يا أمير المؤمنين قد أمّنته قال ويحك يا أنس أأؤمن قاتل مجزأة (بن ثور) والبراء (بن مالك) والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك . قال قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني وقلت لا بأس عليك حتى تشربه ، وقال له من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال خدعتنى والله لا أنخدع إلا لمسلم فأسلم ففرض له على ألفين وأنزله المدينة

وذكر فى رواية أخرى عن طلحة بن عبد الرحمن عن ابن عيسى أن عمر قال له تكلم بحجتك قال كلام حي أو ميت قال بل كلام حي قال آمنتنى قال خدعتنى إن للمخدوع فى الحرب حكمه لا والله لا أؤمنك حتى تسلم فأيقن أنه القتل أو الإسلام فأسلم . وذكر ابن الجوزي عن سالم الأفطس قال جاء وفود فارس إلى عمر رضوان الله عليه يطلبونه فى بيته فلم يجدوه فقيل لهم هو فى المسجد فأتوه وإذا هو ليس عنده حرس ولا أحد فقالوا هذا هو الملك لا ملك كسرى

(وعهده بملوك الفرس أن لها سوراً من الجند والأحراس يحميها)

وعهده بملوك الفرس يريد معرفته وضمير عهده يعود إلى صاحب كسرى والجند العسكر واحد الأجناد والأحراس جمع حرس ويكون من الجند وغيرهم المرتبين للحراسة ، وضمير يحميها الظاهر عائد على ملوك الفرس

(رآه مستغرقا فى نومه فرأى فيه الجلالة فى أسمى معانيها)

الضمير المستتر فى رآه عائد على صاحب ، والظاهر عائد على عمر ، ومستغرقا فى نومه مستثقلا ، والجلالة بمعنى عظم القدر ، وأسمى معانيها يريد أعلى ما تفيده معانى العظمة وعلو القدر

(فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ببردة كاد طول العهد يبليها)

مشتملا متلففا ، والبردة كساء تلبسه العرب ، ويبليها يخلقها

(فهان فى عينه ما كان يكبره من الأكاسر والدنيا بأيديها)

فهان فى عينه صغر، وما كان يكبره ما كان يستعظمه، والأكاسر جمع كسرى والمعروف الأكاسرة على غير قياس وكسرى لقب ملوك الفرس، والدنيا بأيديها جملة حالية والمراد بالدنيا الملك العظيم

(وقال قولة حق أصبحت مثلا وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها)

(القولة مصدر قال كالقول، وأصبحت مثلا أى يتمثل بها. ويرويها الجيل بعد الجيل يتناقلها الناس على مر الزمان، وفى رواية أن رسولا من قبل كسرى أومن قبل ملك الروم وجد عمر رضي الله عنه نائما على الأرض متوسداً الحصا فقال لله أنت عدلت فأمنت فنمت

(أمنت لما أقمت العدل بينهم فنمت فيهم قرير العين هانيها)

أمنت إلى آخر البيت هي القولة وأمنت اطمأننت، والضمير فى بينهم عائد على قوم عمر المفهوم من السياق، وقرير العين مسروها، وهانيها متهنئا لأن نومه نوم لا فزع فيه

عمر والشورى

(يارافعا راية الشورى وحارسها جزاك ربك خيرا عن محبيها)

يارافعا راية الشورى المنادى عمر رضي الله عنه لأنه أول من أمر بالتشاور لانتخاب الخليفة وأما قبله فكانت توليته بالاستخلاف، قدم النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر للصلاة فرضي به المسلمون لأمر دنياهم كما رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لأمر دينهم ثم استخلف أبو بكر عمر رضوان الله عليهما فلما حدث حادث أبي لؤلؤة لم يرد عمر الاستخلاف بل أراد أن لا يتحمل تبعتها ميتا كما تحملها حيا فلم

يعهد بها إلى شخص بعينه وجعلها شورى فى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فدعا عليا بن أبى طالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأمرهم أن يتشاوروا فى أمر الخلافة وقال لهم انتظروا أخاكم طلحة بن عبد الله ثلاثا فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم وليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء قوموا فتشاوروا وليصل بالناس صهيب ثم قال لأبى طلحة الأنصاري يا أبا طلحة إن الله أعز بكم الإسلام فاختر خمسين رجلا من الأنصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الأسود إذا وضعتمونى فى حفرتى اجمع هؤلاء الرهط وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة على رأي واحد وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وإن اجتمع أربعة ورضوا وأبى الإثنان فاضرب رأسيهما فان رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فإن لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس

(لم يلهك النزع عن تأييد دولتها وللمنية الآلام تعانيها)

لم يلهك النزع لم يشغلك والنزع معالجة الموت . وللمنية آلام تعانيها آلام المنية سكراتها وشدتها وتعانيها تقاسيها

(لم أنس أمرك للمقداد يحمله إلى الجماعة إنذارا وتنبيها)

قد سبق فى القصة أمره للمقداد والإنذار الإبلاغ وهو لا يكون إلا فى التخويف ، والتنبيه التعريف

(إن ظل بعد ثلاث رأيها شعبا فجرد السيف واضرب فى هواديها)

إن ظل شرط جوابه فجرد ؛ والثلاث الموعد الذى ضرب به ميعادا للتشاور وانتظار طلحة وشعبا متفرقا ، والهوادى جمع هاد وهو العنق ، وقد أجاز عمر قتل

المخالف للجماعة لاعتباره خارجا على رأي الأكثرية ومنعا للفتنة

(فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها   طعم المنية مرا عن مراميها)

فاعجب أمر من عجب كطرب ، وقوة النفس إرادتها ويصرفها يريد يردها وأضاف الطعم إلى المنية وأراد منه ألمها كما يضاف إلى الحياة ويراد منه لذتها قال الشاعر ،

ألا من لنفس لا تموت فينقضى   شقاها ولا تحيا حياة لها طعم

والمرامى المقاصد

(درى عميد بنى الشورى بموضعها   فعاش ما عاش يبنيها ويعليها)

عميد القوم سيدهم ومن يعمدون إليه فى الشدائد ، والمراد ببنى الشورى محبوها والراغبون فيها ، والموضع فى الأصل المكان والمراد هنا المنزلة ، يريد أن عمر كان يؤثر التشاور فى العمل وقد كان يتشاور مع أبى بكر فى الأمور ومع النصحاء من الصحابة ودلائل ذلك كثيرة فكأنه كان يبنى قواعد الشورى ويعلى بناءها برفعه

(وما استبد برأي فى حكومته   إن الحكومة تغرى مستبديها)

وما استبد برأي بمعنى وما انفرد به مستقلا ، والحكومة تولى الحكم ، وتغرى مستبديها تولعهم بنفسها فلا يعملون إلا ما سولت لهم أنفسهم مستقلين لا رأي لأحد معهم

(رأي الجماعة لا تشقى البلاد به   رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها)

رأي الجماعة ما ارتأته واتفقت عليه ، ولا تشقى البلاد به لأنه رأي ممحص ورغم الخلاف يريد برغم ما يقع فيه من المخالفة فى التشاور لتكوينه ، ورأي الفرد يشقيها لأنه لا يسلم من الخطأ والهوى ، ويشقيها يجعلها شقية أي غير سعيدة

مثال من زهده

٤ (يامن صدفت عن الدنيا وزينتها فلم يغرك من دنياك مغريها)

الخطاب لعمر رضي الله عنه ، وصدفت أعرضت ، والدنيا ضد الأخرى وزينتها بهارجها وزخارفها ، فلم يغرك فلم يخدعك ، ومغريها ما يستهوى الخلق من باطلها

٥ (ماذا رأيت بباب الشام حين رأوا أن يلبسوك من الأثواب زاهيها)

باب الشام يريد به الجابية قرية من أعمال دمشق أول ما وصل إليها عمر والزاهى من الأثواب الحسن

٦ (وبركبوك على البرذون تقدمه خيل مطهمة تحلو مرائيها)

البرذون من الدواب بين الفرس والحمار جمعه براذين ، والخيل المطهمة التامة الحسن ، والمرائى جمع مرئى بمعنى منظر يشير بهذا البيت والأبيات التى بعده إلى خبر قدوم عمر الشام ذكر ابن الجوزي عن أبي العالية السامى قال قدم عمر بن الخطاب رضوان الله عليه الجابية على جمل أورق (فى لون الرماد) تلوح صلعته للشمس ليس عليه قلنسوة ولا عمامة رجلاه بين شعبتى رحله بلا ركاب وطاءه (غطاؤه) كساء انبجاني ذو صوف هو ركابه إذا ركب وفراشه إذا نزل حقيبته نمرة أو شملة (الحقيبة ما يحمل فيه الزاد وغيره والنمرة بردة من صوف يلبسها الأعراب والشملة كساء مخمل دون القطيفة يتلفف به) محشوة ليفاهى حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل عليه قميص من كرابيس (الكرابيس جمع كرباس أصله فارسي الثوب الخشن) قد رسم وتخرق جنبه فقال ادع لى رأس القرية فدعوا له الجلوس (لعله الأسقف) فقال اغسلوا قميصى وخيطوه وأعيرونى قميصا أو ثوبا فأتي بقميص

كتان فقال ما هـذا قالوا كتان قال وما الكتان فأخبروه فنزع قميصه فقال له الجلوس أنت ملك العرب وهـذه بلاد لا تصلح بها الإبل فأتي ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحـل وركبه فقال احبسوا احبسوا (يريد امنعوا) ما كنت أظن أن الناس يركبون الشياطين قبل هذا فأتي بجمله فركبه

(مشى فهملج مختالا براكبه وفى البراذين ما تزهى بعاليها)

هملج البرذون مشى فى سرعة وتبختر، وتزهى من ذهي على البناء للمجهول بمعنى تاه واختال، وعاليها راكبها من على الدابة ركبها

(فصحت ياقوم كاد الزهو يقتلنى وداخلتنى حال لست أدريها)

فصحت الخطاب لعمر وباقى البيت والبيتان بعده مقول فصحت والزهو بمعنى التيه والكبر، ويقتلنى يجعلنى فى حكم المقتول، ولعله يريد بالحال الشعور الذى يداخل المزهو، ولست أدريها بمعنى لست أعرفها من قبل

(وكاد يصبو إلى دنيا كمُ عمر ويرتضى بيع باقيه بفانيها)

يصبو يميل وضمير دنيا كم عائد الى قوم السابق، وبيع الباقى بالفانى يريد بيع الآخرة بالدنيا

(ردوا ركابى فلا أبغى بها بدلا ردوا ثيابى فحسبي اليوم باليها)

الركاب الإبل يريد ركوبتي منها، ولا أبغى بها بدلا يريد لا أطلب غيرها وردوا ثيابى فحسبي اليوم باليها أي تكفينى ثيابى الخلقة

مثال من رحمته

(ومن رآه أمام القدر منبطحا والنار تأخذ منه وهو يزكيها)

ومن رآه شرط جوابه يأتى فى البيت الثالث، ومنبطحا من انبطح الرجل

ألقى بنفسه على وجهه ممتدا على الأرض والقدر إناء يطبخ فيه وهو مؤنث ومعه تذ كيره والجمع قدور ، والنار تأخذ منـه جملة حالية بمعنى تناله ، ويزكيها يشعلها وقصة ذلك ذ كرها ابن الجوزي عن زيد بن أسلم عن أبيـه (أسلم مولى عمر) قال خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى حرة واقم (مكان بقرب المدينة) حتى إذا كنا بصرار (جبل) إذا نار فقال يا أسلم إني أرى هناك ركبا قد ضربهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا بامرأة معها صبيان وقدر منصوب عـلى نار وصبيانها يتضاغون (يصيحون ويتلوون) فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره أن يقول يا أصحاب النار فقالت المرأة وعليكم السلام فقال أدنو ؟ فقالت ادن بخير أو دع فدنا منها فقال ما بالـكم قالت ضربنا الليل والبرد قال وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت الجوع قال وأي شيء في هـذا القدر قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر قال أي رحمـك وما يدرى عمر بكم قالت يتولى أمرنا ثم يغفل عنا قال فأقبـل علي فقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا من دقيق وكبة من شحم فقال احمله علي فقلت أنا أحمله عنك فقال أنت تحمل عـني وزري يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول ذري علي وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر ثم أنزلها فقال ابغني شيئا فأتته بصحفة فأفرغها فجعل يقول لها أطعميهم وأنا أسطح لهم فلم تزل حتى شبعوا وترك عنـدها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا كنت بهـذا الأمر أولى من أمير المؤمنين فيقول قولى خـيرا إذا جئت أمير المؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها فربض مربضا فقلت لك شأن غير هـذا فلا يكلمنى حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم

ناموا وهدأوا فقال يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فاحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت

وذكر ابن جرير الطبري هذه الرواية عن زيد بن أسلم وفيها أن عمر جعل ينفخ تحت القـدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج القدر ثم أنزلها وهذا ما يشير إليه حافظ رحمه الله بقوله

(وقد تخلل فى أثناء لحيته منها الدخان وفوه غاب فى فيها

تخلل الدخان فى أثناء لحيته وفوه غاب فى فيها جملتان حاليتان

(رأى هناك أمير المؤمنين على حال تروع لعمر الله رائيها)

رأى هناك جملة جواب الشرط السابق ، وجملة تروع صفة لحال ويراد بالحال الهيئة ، وعمر الله قسم محذوف الخبر تقديره قسمى ولام لعمر للابتداء

(يستقبل النار خوف النار فى غده والعين من خشية سالت مآقيها)

يستقبل النار وصف للحال التى كان عليها عمر رضوان الله عليـه والمعنى أنه يقبل على نار الدنيا بوجهه ليتقي بهـا نار الآخرة فى يومه المترقب وهو اليوم الآخر ، والمآقى جمع موق وهى مجارى الدمع وسالت مآقيها يريد جرت دموع مآقيها

مثال من تقشفه وورعه

(إن جاع فى شدة قوم شركتهم فى الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها)

إن جاع شرط جوابه شركتهم ، وشركتهم من شركه يشركه صار شريكا له وشدة القوم ضيق عيشهم ، وأو بمعنى إلى ، وتنجلى تنكشف ، والغواشى جمع غاشية وهى الغطاء والمراد بها هنا ما انتاب الناس من الجوع والضنك

٥ (جوع الخليفة والدنيا بقبضته   فى الزهد منزلة سبحان موليها)

والدنيا بقبضته يريد بالدنيا الملك العظيم الذى كان للمسلمين ، وباء بقبضته بمعنى فى والمراد أنها فى يده وتحت إمرته والجملة حالية من الخليفة ، والزهد الإعراض عن الشيء احتقاراً له ، والمنزلة الرتبة ، وسبحان موليها سبحان اسم مصدر يدل على معنى التسبيح وموليها معطيها والمراد التنزيه لله معطيها عن العجز والنقص وقد أشار حافظ رحمه الله فى هذا البيت والذى قبله إلى جوع الخليفة والمسلمين فى عام الرمادة فقد روى ابن الجوزي قال قال ابن مسعود وقال عياض ابن خليفة رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون ولقد كان أبيض كان عربيا يأكل السمن واللبن فلما أمحل الناس حرمهما فأكل الزيت حتى تغير لونه وجاع فأكثر وروى عن أنس قال تقرقر بطن عمر عام الرمادة فكان يأكل الزيت وقد حرم على نفسه السمن قال فنقر بطنه بإصبعه وقال تقرقر إنه ليس عندنا غيره حتى يحيى الناس

٩ (فمن يبارى أبا حفص وسيرته   أو من يحاول للفاروق تشبيها)

يبارى يفعل مثل ما يفعل ، وسيرته بمعنى طريقته والمراد سياسته وهي عطف على أبا حفص ، والتشبيه التمثيل ، والاستفهام إنكاري والمراد أن لا أحد يبارى عمر فى أخلاقه ولا فى سياسته أو يحاول أن يمثل به غيره

(يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها   من أين لى ثمن الحلوى فأشريها)

يوم اشتهت زوجه الحلوى رغبت فيها ، وأشريها من شراه كاشتراه ، وقصة ذلك معروفة عن زوجة عمر رضي الله عنه وهى أنها اشتهت حلوى فقال لها ليس لنا ما نشترى به فقالت أنا أستفضل من نفقتنا فى عدة أيام ما نشترى به فقال افعلى ففعلت ذلك فاجتمع لها فى أيام كثيرة شيء يسير فلما عرفته ذلك ليشتري به

حلوى أخذه فرده إلى بيت المال وقال هـذا يفضل عن نفقتنا وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له . وقـد روى هذه القصة ابن الأثير فى تاريخه لزوجة أبى بكر رضي الله عنه مجردة عن السند معبراً عنها بقيل

(لا تمتطى شهوات النفس جامحة   فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها)

الخطاب للزوجة ولا تمتطى شهوات النفس بمعنى لا تتخذيها مطية وهذا نهي عن اتباع الشهوات والمراد بالشهوات الرغبات الكمالية وجامحة حال من النفس أو من الشهوات وبريد بالجامحة أنها تسرع بالإنسان فلا يردها شيء حتى تغلبه وكسرة الخبز إلى آخر البيت تعليل للنهي

(وهل يفى بيت مال المسلمين بما   توحى إليك إذا طاوعت موحيها)

وهل يفى الاستفهام إنكاري بمعنى النفي ويفى بمعنى يوازى والمراد لا يكفى الشهواتك إذا استرسلت فيها ، وطاوعت موحيها أي نفسك والأصل إذا طاوعتها فأظهر فى مقام الاضمار

(قالت لك الله إنى لست أرزأه   مالا لحاجة نفس كنت أبغيها)

لك الله جملة دعائية ، وهي إلى آخر البيت مقول قالت وأرزأه بمعنى أنقصه قال الشاعر

إن سليمى والله يكلأها   ضنت بشيء ما كان يرزأها

ومالا فى البيت تمييز محول عن المفعول وأصله لا أرزأ ماله

(لكن أجنب شيئاً من وظيفتنا   فى كل يوم على حال أسويها)

يـ ن لما لا يرزأ بيت المال ، والوظيفة المرتب الذى كان لعمر رضي الله عنه من بيت المال ، وأسويها من التسوية بمعنى أعدها

(حتى إذا ماملكنا ما يكافئها شريتها ثم إني لا أثنيها)

ما يكافئها ما يساوى قيمتها و يكون نظيرا لها ولا أثنيها من التثنية أي لا نجعل هذه الفعلة اثنتين ولا نعيدها

(قال اذهبي واعلمي إن كنت جاهلة أن القَنَاعة تغني نفس كاسيها)

القناعة الرضا وتغني نفس كاسيها أي من يتحلى بها والكاسي من كسي كهدي بمعنى اكتسى فهو مكتس وليس المراد المكتسي باللباس بل المكتسي بالقناعة

(وأقبلت بعد خمس وهي حاملة دريهمات لتقضى من تشهيها)

يريد بخمس خمس ليال ودريهمات جمع درهم مصغرا للتقليل ، والتشهي الرغبة الشديدة

(فقال نبهت مني غافلا فدعي هذي الدراهم إذ لاحق لي فيها)

نبهت مني غافلا أي أيقظتني ونبهتني لما يجب أن أفعل ، ولاحق لي فيها لأنها أمكن توفيرها من الوظيفة وقد وعد أن لا يأخذ من مال المسلمين إلا ما يصلحه و يصلح عياله بالمعروف

(و يلي على عمر يرضى بموفية على الكفاف و ينهى مستزيديها)

و يلي كلمة تفجع والموفية من أوفى بمعنى أبلغ والمراد بموفية الوظيفة المرتبة لعمر والكفاف ما كف عن الناس وأغنى عنهم والمراد أن المرتب لافضل فيه ولا زيادة وذلك لأن عمر كان يأخذ من بيت المال قدر الحاجة للمعيشة الساذجة ، ولما اشتدت به حاجته رأى المسلمون لزوم الزيادة له لينفق على ما يليق به فأبى . ذكر ابن الجوزي عن عبد الله بن عمر قال جمع عمر الناس بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق فقال إني كنت امرأ تاجرا وقد شغلتموني بأمركم هذا وما ترونى أنه يحل لي من هذا المال فأكثر القوم وعلي ساكت فقال ياعلي ما تقول قال ما يصلحك

و يصلح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا الأمر غيره فقال القول ما قال علي

وروي عن سالم بن عبد الله (بن عمر) قال لما ولي عمر رضوان الله عليه فعد رزق أبي بكر رضوان الله عليه الذى كانوا فرضوا له وكان بذلك يسد حاجته فاجتمع نفر من المهاجرين فيهم عثمان وعلي وطلحة والزبير رضوان الله عليهم فقال الزبير لو قلنا لعمر فى زيادة نزيدها إياه فى رزقه فقال علي وددنا أنه فعل ذلك فانطلقوا بنا فقال عثمان إنه عمر فهلموا فلنستبر ما عنده من وراء وراء نأتى حفصة فنكلمها ونستكتمها أسماءنا فدخلوا عليها وسألوها أن تخبر بالخبر عن نفر ولا تسمى أحدا إلا أن يقبل وخرجوا من عندها فلقيت عمر رضوان الله عليه فى ذلك فعرفت الغضب فى وجهه فقال من هؤلاء قالت لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم ما رأيك فقال لو علمت من هم لسودت وجوههم أنت بينى وبينهم أناشدك الله ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين (مصبوغين بالمشق) كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما للجمع قال فأي طعام ناله عندك أرفع قالت خبزنا خبزة شعير فصببنا عليها وهى حارة أسفل عكة لنا (إناء السمن) فجعلناها هشة دسما فأكل منها وتطعم منها استطابة لها قال فأي مبسط عندك كان أوطأ قالت كساء لنا ثخين كنا نربعه فى الصيف فنجعله تحتنا فإذا كان الشتاء ابسطنا نصفه وتدثرنا نصفه قال ياحفصة فابلغيهم عنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالتزجية (بالقليل الذى يكتفى به) وإنما مثلى ومثل صاحبي كثلاثة نفر سلكوا طريقا فمضى الأول وقد تزود زاداً فبلغ ثم تبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه ثم اتبعهما الثالث فان لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما وكان معهما وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما أبدا

(ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى فقومى لبيت المال رديها) .

فالمسلمون به أولى لأنه حقهم ولا يكون لغيرهم

(كذاك أخلاقه كانت وما عهدت بعد النبوة أخلاق تحاكيها)

المراد بالبعدية البعدية غير المباشرة لأن عمر بعد أبي بكر زمنا ورتبة روي عن عمر رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فقلت اليوم أسبق أبا بكر مع أنى ما سبقته يوما فجئت بنصف مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك ياعمر قلت أبقيت نصفه فأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر فقال أبقيت لهم الله و رسوله فقلت لا أسبقه إلى شيء أبدا

مثال من هيبته

(فى الجاهلية والإسلام هيبته تثنى الخطوب فلا تعدو عواديها)

الهيبة المخافة ، والخطوب جمع خطب ويريد بها الأمور العظيمة ، وتثنى من الثني بمعنى الرد ، وتعدو من العدوان . ذكر ابن الجوزي عن أبى سعيد (الخدري) قال ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر كان إسلامه فتحا وهجرته نصرا و إمامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا وخلوا سبيلنا

(فى طي شدته أسرار مرحمة للعالمين ولكن ليس يفشيها)

فى طي شدته أي فى ضمنها والشدة القوة . والمرحمة كالرحمة معناها رقة القلب والعالمين جمع عالم ، ويُفشيها بمعنى يكشفها ويذيعها ، يريد أن أعماله وإن كانت تبدو شديدة فى ظاهرها فهي متضمنة أسرارا من المصلحة التى تكون رحمة للناس .

(وبين جنبيه فى أو فى صرامته   فؤاد والدة ترعى ذراريها)

أو فى اسم تفضيل بمعنى أتم ، والصرامة بمعنى الشدة والقوة ، والذرارى جمع ذرية والمراد بها الأولاد ، وهذا توضيح لما فى البيت السابق

(أغنت عن الصارم المصقول دِرَّته   فكم أخافت غَوِيَّ النفس عاتيها)

أغنت بمعنى أجزأت عنه وكفت ، والدِّرة السوط ، وغويّ النفس ضالّها والعاتى المتكبر المتجاوز الحد ، وفى البيت اشارة إلى ماقيل بعد حياة عمر رضوان الله عليه لَدِرَّة عمر أهيب من سيفكم

(كانت له كعصا موسى لصاحبها   لا ينزل البطل مجتازا بواديها)

كانت له أي الدِّرة كعصا موسى يريد من التشبيه أنها كانت تبطل الباطل كما كانت عصا موسى تبطل السحر

إذا جاء موسى وألقى العصا   فقد بطل السحر والساحر

ذكر ابن الجوزي عن الأسود بن سريع (التميمى الشاعر) قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد حمدت ربى بمحامد ومدح وإياك فقال لى إن ربك يحب الحمد فجعلت أنشده فاستأذن رجل طوال أصلع فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكت فدخل فتكلم ساعة ثم خرج ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا فقلت يارسول الله من هذا الذى أسكتنى له فقال هذا عمر رجل لا يحب الباطل . وقد دفع ابن الجوزي ما يستشكل به على هذا الحديث من تسمية ما يسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلا وهو محاشى عنه فقال إن الشعراء يجيء منهم ما يصلح وما لا يصلح والله تعالى يقول فى كل واد يهيمون فلما قال هذا الشاعر إنى حمدت ربى بمحامد سمع منه فلو ذكر فى قصيدته مالا يصلح لأنكره عليه بوفق كما أنكر على نساء قلن وفينا نبي يعلم ما فى غد فقال لهن لا تقلن هذا

تخاف أن يسمع من ذلك عمر ليقابله بأخش الإنكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرفق فى باب الإنكار باللطف

(أخاف حتى الدرارى فى ملاعبها   وراع حتى الغوانى فى ملاهيها)

الملاعب جمع ملعب والملاهى جمع ملهى أي مواضع اللعب واللهو ولعله يشير بذلك إلى خبر ذكره ابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فسمعت لغطا وصوت صبيان فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا حبشية تزفن [ترقص] والصبيان حولها فقال ياعائشة تعالي فانظرى فجئت فوضعت لَحْيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أنظر إليهم ما بين المنكب إلى رأسه فقال لى أما شبعت قالت فجعلت أقول لا لأنظر منزلتى عنده إذ طلع عمر فارفض الناس عنها قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر قالت فرجعت

(أرَيْتَ تلك التى لله قد نذرت   أنشودة لرسول الله تهديها)

ريتَ أصلها رأيت أسقطت منها الهمزة تخفيفا قال الشاعر

صاح هل ريت أو سمعت براعٍ   رد فى الضرع ما جرى فى الحلاب

(الحلاب الإناء يحلب فيه) وتهديها بمعنى تزفها

(قالت نذرت لئن عاد النبي لنا   من غزوه لعلى دفى أغنيها)

نذرت من النذر وهو أن يوجب الإنسان على نفسه ما ليس واجبا ويشترط الفقهاء أن يكون قربة لله تعالى ، والأنشودة إذا كانت للتنويه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم تكون قربة ، والغزو القتال ، والدف آلة يضرب عليها للطرب ، ونذرت الى آخره مقول القول ولئن عاد اللام موطئة للقسم وإن عاد جملة شرطية جوابها محذوف وأغنيها جواب للقسم المحذوف واللام فى لعلى دفى داخلة فى الأصل على

أغنيها فهي لام الجواب

(وعمت حضرة الهادى وقد ملأت أنوار طلعته أرجاء ناديها)

عمت قصدت ، وحضرة الهادى جهته القريبة منه ، والهادى المرشد وهو النبي صلى الله عليه وسلم

(واستأذنت ومشت بالدف واندفعت تشجي بألحانها ما شاء مشجيها)

اندفعت يريد شرعت تنشد ، وتشجى تثير الشعور وتشوق

(والمصطفى وأبو بكر بجانبه لا ينكران عليها من أغانيها)

لا ينكران لا يعيبان ولا ينهيان ، ومفعول ينكران محذوف تقديره شيئاً ، أو أن من زائدة وأغانيها مفعول ، ومثل هذا اللهو غير محظور روى عبد الله بن أويس (بن عم مالك بن أنس) قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بجارية فى ظل فارع وهى تغني

هل عليَّ ويحكمُ إن لهوت من حرج

فقال صلى الله عليه وسلم لاحرج إن شاء الله

(حتى إذا لاح عن بعد لها عمر خارت قواها وكاد الخوف يرديها)

خارت قواها ضعفت ، ويرديها يهلكها

(وخبأت دُفها فى ثوبها فرقاً منه وودت لوأن الأرض تطويها)

الفرق شدة الخوف والفزع ، وتطويها يريد تبتلعها لتخفيها من عمر رضي الله عنه

(قد كان حلم رسول الله يؤنسها فجاء بطش أبى حفص يخشيها)

يؤنسها من الإيناس ، والبطش الأخذ بالشدة والعنف ، ويخشيها يجعلها تخشى وتخاف ، وفى البيت المقابلة بين حلم و بطش و يؤنسها و يخشيها

(فقال مهبط وحي الله مبتسما   وفى ابتسامته معنى يواسيها)

مهبط وحي الله محل نزوله ، والمراد منه نفس الرسول صلى الله عليه وسلم ، والوحي ما جاء به الرسول عن ربه على لسان الملك ، مبتسما حال منه ويواسيها يطمنها

(قد فر شيطانها لما رأى عمراً   إن الشياطين تخشى بأس مخزيها)

قد فر شيطانها لما رأى عمراً مقول القول فى البيت قبله ، والبأس الشدة ومخزيها من يجعلها تخزى وتفر وضميره المستتر يعود إلى عمر وقصة هذه الفتاة رواها ابن الأثير فى أسد الغابة عن بريدة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يارسول الله إنى كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف قال إن كنت نذرت فاضربى و إلا فلا فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل عمر وهى تضرب فألقت الدف تحتها وقعدت عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك ياعمر إنى كنت جالسا وهى تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل عليٌّ وهى تضرب ثم دخل عثمان وهى تضرب ثم دخلت أنت فألقت الدف

مثال من رجوعه الى الحق

(وفتية ولعوا بالراح فانتبذوا   لهم مكانا وجدوا فى تعاطيها)

الفتية من جموع فتى وهى مجرورة بواو ربَّ مبتدأ ، وولعوا بالراح بمعنى أحبوها ، وانتبذوا لهم مكانا تنحوا ناحية ، وجدُّوا فى تعاطيها اجتهدوا ، والتعاطى التناول ويكنى به عن الشرب

(ظهرت حائطهم لما علت بهم   والليل معتكر الأرجاء ساجيها)

ظهرت حائطهم يريد علوته والجملة خبر فتية فى البيت السابق ، والليل معتكر الأرجاء بمعنى مشتد الظلام والأرجاء جمع رجا مقصور بمعنى الناحية ، وساجيها مغطيها

(حتى تبينهم والخمر قد أخذت   تعلو ذؤابة ساقيها وحاسيها)

ذؤابة الإنسان منبت الناصية من رأسه ، والمراد من علو الخمر الذؤابة تأثيرها فى الرؤس ، والساقى والحاسى معروفان بين المتناولين

(سفهت آراءهم فيها فما لبثوا   أن أوسعوك على ما جئت تسفيها)

سفهت آراءهم يريد نسبتها إلى السفه وهو الجهل ، والمراد بالآراء الفعال فما لبثوا أي فما أبطؤا أن أوسعوك وأن والفعل مؤلان بمصدر مجرور بفى محذوفة يريد فى إيساعك تسفيها و إيساعه تسفيها بمعنى جعل التسفيه يسعه ، وعلى ما جئت بمعنى لما فعلت

(ورمت تفقيهم فى دينهم فإذا   بالشرب قد برعوا الفاروق تفقيها)

التفقية التعليم والتفهيم وفاء فإذا للمفاجئة ، والشرب جمع شارب كصحب وصاحب ، وبرعوا الفاروق فاقوه

(قالوا مكانك قد جئنا بواحدة   وجئتنا بثلاث لا تباليها)

قالوا مكانك أي الزم مكانك وهو إلى آخر البيت الرابع مقول القول ، وجئنا بواحدة أي فعلنا فعلة واحدة وفعلت أنت ثلاثا ، ولا تباليها أي لا تكترث لها وأصل لا تباليها لا تبالى بها حذف حرف الجر ووصل الضمير بالفعل

(فائت البيوت من الأبواب ياعمر   فقد يزن من الحيطان آتيها)

فائت البيوت من الأبواب تلميح إلى قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها والمراد به إتيان الأمور من مأتاها ، ويزن بالبناء للمجهول من أزنه بكذا بمعنى

أتهمه به ونائب فاعله آتيها ، ومن الحيطان متعلق بآتيها ، وضمير آتيها الظاهر عائد على البيوت

(واستأذن الناس لا تغشى بيوتهم ولا تلمّ بدار أو تحيّيها)

واستأذن الناس إلى آخره تلميح إلى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، والإستئناس الإستئذان للدخول حتى لا يكون مفاجأة ، وتغشى من الغشيان بمعنى المجيء ، وتلم بها بمعنى تنزل بها . وأو بمعنى حتى

(ولا تجسس فهذى الآي قد نزلت بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها)

ولا تجسس أي لا تبحث عن العورات ، فهذى الآي الإشارة إلى آيات النهي عن التجسس فى قوله تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا إلى آخره والنواهى جمع ناهية وهى ما تقابل الأوامر فى الشرع ويطلب بها الكف عن الفعل كما يطلب بالأوامر الفعل ، ولم تذكر من الذكر بمعنى التذكر ، على أن عمر لم يكن متجسسا وإنما كان عاسا يطوف بالليل ويقوم على أمن الناس

(فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم لما رأيت كتاب الله يمليها)

وقد أكبرت حجتهم بمعنى وجدتها كبيرة ، وكتاب الله يمليها بمعنى يذكرها

(وما أنفت وإن كانوا على حرج من أن يحجك بالآيات عاصيها)

وما أنفت وما استنكفت ، والحرج الإثم . ويحجك أي يغلبك بالحجة وعاصى الآيات من لا يطيعها ولا يعمل بها ، وخبر هؤلاء الفتية ذكره ابن الأثير والطبري . روى الطبري عن بكر بن عبد الله المزنيّ (البصري) قال جاء عمر بن الخطاب إلى باب عبد الرحمن بن عوف فضرب به فجاءت المرأة ففتحته ثم قالت له لا تدخل حتى أدخل البيت وأجلس مجلسى فلم يدخل حتى جلست ثم قالت أدخل

فدخل ثم قال هل من شيء فأتته بطعام فأكل وعبد الرحمن قائم يصلي فقال له تجوز (خفف أيها الرجل) فسلم عبد الرحمن حينئذ ثم أقبل عليه فقال ما جاء بك فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال رفقة نزلت فى ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنحرسهم فانطلقا فأتيا السوق فقعدا على نشز (مرتفع) من الأرض يتحدثان فرفع لهما مصباح فقال عمر ألم أنه عن المصابيح بعد النوم فانطلقا فإذا قوم على شراب لهم فقال انطلق فقد عرفته فلما أصبح أرسل إليه فقال يافلان كنت وأصحابك البارحة على شراب قال ما علمك يا أمير المؤمنين قال شيء شهدته قال أو لم ينهك الله عن التجسس قال فتجاوز عنه ولعل الحوار الذى أشار إليه حافظ مذكور فى رواية أخرى لم أطلع عليها

عمر وشجرة الرضوان

(وسرحة فى سماء السرح قد رفعت ببيعة المصطفى من رأسها تيها)

السرحة واحدة السرح وهى الشجرة العظيمة الطويلة ، وفى سماء السرح متعلق برفعت ، والمراد بسماء السرح جهة علوه الذى يذهب فيه مرتفعا ، ومن زائدة ، ورأسها مفعول ، وتيها حال من ضمير رفعت العائد على سرحة ، والإشارة إلى الشجرة التى وقعت بيعة الرضوان تحتها وهى التى يشير إليها قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة

ذكر ابن الجوزي عن نافع (مولى عمر) قال كان الناس يأتون الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت

(أزالها حين غالوا فى الطواف بها وكان تطوافهم للدين تشويها)

غالوا من المغالاة ، والطواف والتطواف الدوران حول الشيء يقصد منه التعظيم والتشويه التقبيح

الخاتمة

(هذى مناقبه فى عهد دولته للشاهدين وللأعقاب أحكيها)

المناقب جمع منقبة يريد بها أفعال عمر الكريمة وفى عهد دولته أي فى زمنها والشاهدين من الشهود بمعنى الحضور يريد بهم المعاصرين والأعقاب جمع عقب يريد بهم الأولاد ومن يأتى بعدهم

(فى كل واحدة منهن نابلة من الطبائع تغذو نفس واعيها)

فى كل واحدة منهن أي فى كل منقبة من مناقبه نابلة بمعنى سجية محمودة وتغذو نفس واعيها أي من يحفظها فانها تثقف وتهذب وهذا هو المقصود من تغذية النفس

(لعل فى دولة الاسلام نابتة تجلو لحاضرها مرآة ماضيها)

النابتة النشء وتجلو توضح والبيت بيان للسبب الذى حدا حافظا لنظم هذه المناقب والمراد بالحاضر المعاصر ومرآة ماضيها تاريخ الدولة

(حتى ترى بعض ما شادت أوائلها من الصروح وما عاناه بانيها)

حتى ترى أي النابتة ما شادت أوائلها أي ما بنته ورفعته والمراد بالأوائل رجال الصدر الأول الذين أسسوا مجد الاسلام وهم من ذكر بعضهم فى هذه القصيدة

(وحسبها أن ترى ما كان من عمر حتى ينبه منها عين غافيها)

وحسبها الضمير عائد إلى النابتة وحسب بمعنى يكفى وما كان من عمر يريد أعماله التى مرت فان رؤية تلك الاعمال يوقظ النائم عن العمل لمجد الدولة

هذا ما وفقنى الله إليه تعليقا على هذه القصيدة وهو آخر ما يسره من فهم

غالوا من المغالاة، والطواف والتطواف الدوران حول الشيء يقصد منه التعظيم والتشويه التقبيح

الخاتمة

(هذى مناقبه فى عهد دولته للشاهدين وللأعقاب أحكيها)

المناقب جمع منقبة يريد بها أفعال عمر الكريمة وفى عهد دولته أي فى زمنها والشاهدين من الشهود بمعنى الحضور يريد بهم المعاصرين والأعقاب جمع عقب يريد بهم الأولاد ومن يأتى بعدهم

(فى كل واحدة منهن نابلة من الطبائع تغذو نفس واعيها)

فى كل واحدة منهن أي فى كل منقبة من مناقبه نابلة بمعنى سجية محمودة وتغذو نفس واعيها أي من يحفظها فانها تثقف وتهذب وهذا هوالمقصود من تغذية النفس

(لعل فى دولة الاسلام نابتة تجلولحاضرها مرآة ماضيها)

النابتة النشء وتجلو توضح والبيت بيان للسبب الذى حدا حافظا لنظم هذه المناقب والمراد بالحاضر المعاصر وبمرآة ماضيها تاريخ الدولة

(حتى ترى بعض ما شادت أوائلها من الصروح وما عاناه بانيها)

حتى ترى أي النابتة ما شادت أوائلها أي ما بنته و رفعته والمراد بالأوائل رجال الصدر الأول الذين أسسوا مجد الاسلام وهم من ذكر بعضهم فى هذه القصيدة

(وحسبها أن ترى ما كان من عمر حتى ينبه منها عين غافيها)

وحسبها الضمير عائد إلى النابتة وحسب بمعنى يكفى وما كان من عمر يريد أعماله التى مرت فان رؤية تلك الاعمال يوقظ النائم عن العمل لمجد الدولة

هذا ما وفقنى الله إليه تعليقا على هـذه القصيدة وهو آخر ما يسره من فهم

فهرس الكتاب

صحيفه

صحيفه

﴿ بيان الخطأ والصواب ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦	١٧	الصحابةِ	الصحابةُ
٧	١١	فمدتْ	فمدتِ
٩	١٤	الجراحَ	الجراحِ
١٦	٧	الآيَ	الآيُ
٢٨	٧	آتيه	حق آتيه
٤٧	٥	مستريح النفس	مستريح النفس مطمئنها
٥٥	١٣		نصف البيت بعد حركة الاشباع فى لام الجلالة

